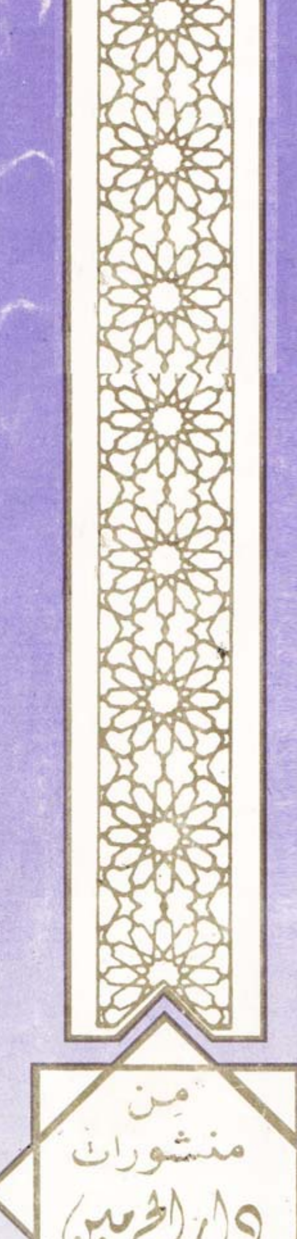




قراع الأسنة في نفي التطرف والشذوذ عن أهل السنة

تأليف
أبي ذر
عبد العزيز بن يحيى بن أحمد مساوي البرعي اليمني






رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

قراع الأسنة
في
نفي التطرف والشذوذ
عن أهل السنة

تأليف
أبي ذر
عبد العزيز بن يحيى بن أحمد مساوى البرعي اليمني

الناشر
دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الثانية
مزيدة ومنقحة
١٤١٧هـ - ١٩٩٧ م

الناشر
دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع
النشر والتوزيع : ٧٢ شارع مصر والسودان - حدائق القبة - القاهرة - هاتف وفاكس : ٤٨٢٠٣٩٢
المطابع : منشية السد العالي - ش مسجد الوطنية - تقاطع ١١٢ - هاتف وفاكس : ٢٩٧٩٧٣٥

مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للَّه رب العالمين، وصلى اللَّه على نبينا محمد وعلى آله وسلم، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد: فقد قدمنا في الطبعة الأولى من «**قراع الأسنة**» بعض الأمور التي تبرِّئ أهل السنة عن التشدد والغلو، ثم ظهرت أشياء أخرى تحتاج أن يتكلم عنها ويبين موقف أهل السنة من ذلك، كذلك احتجنا إلى تعديل ما يحتاج أن يعدل أو إلحاق ما يحتاج إلى تتمة أو تبيين، كذلك رأيت أن الكتاب يكاد أن يُفقد، بل قُلْ: قد فُقد في كثير من البلاد لا سيما في اليمن، فقد أصبح طلبة العلم يصورونه تصويرًا.

لهذا وذاك أحببت إعادة طبعه، لا سيما والشيخ مقبل حفظه اللَّه قد كثر إلحاحه في إعادة طبع الكتاب.

وقد كنت ألمحت في مقدمة الطبعة الأولى إلى أن الطاعنين في أهل السنة كثير، ولكنهم الآن أكثر عددًا وأكبر جرأة مما مضى، وذلك يزيد أهل السنة ثقة بأنفسهم ومن أولئك: عبد الرحيم الطحان، وحسن السقاف، ومحمد هاشم الهدية، وكذلك عبد المجيد الريمي، ومحمد المهدي، وعقيل المقطري، وعمار بن ناشر، ومحمد البيضاني، وعبد اللَّه الأهدل، وغيرهم.

أما الأولان فمبتدعان من بداية الأمر، وقد كنت أعلم أن الطحان يتكلم في الألباني وأعلم أنه حنفي من أكثر من عشر سنين، وكنا نلتقي ببعض طلابه وهو لا يزال في (أبها).

وأما محمد الهدية فليس بعالم، وإنا لنعجب من ذلك الشريط الذي تكلم فيه على الشيخ مقبل فقد كان كلامًا هزيلًا، وما أظن الكلام من إعداده؛ فقد كان يلاحظ عليه أنه يقرؤه من ورقة ويخطئ في القراءة، ثم يكرر مصححًا خطأه، فعجبًا يا محمد الهدية: كيف استدرجوك حتى قلت ما قلت؟ ولكنك كشفت لثامًا ما كنا ندري ما وراءه، وما حالك إلا كما قيل:

(أنـــا المســـيء خـــذونـــي)

وأما البقية فهم يعلمون دعوة أهل السنة إلا الأهدل فلا أعرفه، ولكن عصفت بهم العواصف، فيا سبحان الله حين تسمع كلامهم قديمًا، وأن عبد المجيد كان يعد نفسه لتحقيق «مسند أحمد» وهذه همة كالجبال، وهو الذي يقول:

أهل الحديث هم رهطي إذا افتخرت   قبائل العرب العربا بقحطان

والبيضاني الذي كان يعزم على تأليف تفسير للقرآن مشترطًا فيه الصحة، وعمار الذي طلب العلم عند الشيخ مقبل، وبقي عند الشيخ ابن عثيمين نحو سبع سنين، ويا ليت ابن عثيمين يعلم أين وصل تلميذه، قد أصبح منافحًا عن الإخوان المسلمين، وليس العيب في الشيخ محمد بن صالح حفظه الله، وإنما أذكر له ذلك كي لا يغتر بعمار، أو لعله يرسل له بنصيحة، والله المستعان.

وهكذا كل واحد قد كانت عنده من العزائم ما تفوق الجبال طولًا، ثم تنكست تلك الهمم وتركوا تلك المشاريع واعتاضوا بها الدعوة إلى الحزبية والطعن في أهل السنة، وإنا لنأسف على علمهم الذي أصبحوا يسخِّرونه ضد أهل السنة وانتصارًا لأهل البدعة، يا هؤلاء كيف هنتم في أنفسكم حتى صار يسيِّركم من هو أقل منكم علمًا لأجل مصالح دنيوية أو حزبية؟! فعودوا إلى أنفسكم وأصلحوا أخطاءكم، وفقنا الله وإياكم لما يحب ويرضى.

ولكن والحمد لله أنك تجد أهل السنة رافعين رءوسهم فكتبهم هي المراجع في كل فن يؤلفون فيه، وإليهم ترجع الفتوى في الدنيا، وبيدهم إمامة الحرمين وغير ذلك.

وأما أصحاب الجرائد والمجلات فهم بحمد اللّٰه منهزمون، وما هذه الثورة الشرسة ضد أهل السنة إلا كانتفاض المذبوح قليلًا ثم يموت، وأصبح حالهم كما قيل:

اقتلوني ومالكًا واقتلوا مالكًا معي

نسأل اللّٰه أن ينصر دينه وأن يعلي كلمته، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى اللّٰه على محمد وعلى آله وسلم.

١١ شوال ١٤١٦هـ

اليمن - أب - مفرق حبيش

أبو ذر: عبد العزيز بن يحيى بن أحمد مساوى

البرعي اليمني. ص. ب ٩٤

تنبيـــــه:

نزلت إلى الأسواق نسخ من كتابنا هذا مكتوب عليها (الطبعة الثانية) الناشر مكتبة الحرمين للعلوم النافعة، وهذا غير صحيح فلم نطبع الكتاب إلا طبعة واحدة وهذه الثانية، ويظهر لمن قابل بين الطبعة الأولى والطبعة المزعومة ثانية يجد أنه ليس هناك زيادة ولا مقدمة للطبعة الثانية، وكان بإمكانهم أن يراسلونا ويطلبوا منا الكتاب، فنشكوهم إلى اللّٰه واللّٰه المستعان.

* * *

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد للَّه نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهد اللَّه فهو المهتدي ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللَّه حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون** ﴾ . [آل عمران : ١٠٢]

﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالًا كثيرًا ونساء واتقوا اللَّه الذي تساءلون به والأرحام إن اللَّه كان عليكم رقيبًا** ﴾ [النساء : ١] .

﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللَّه وقولوا قولًا سديدًا * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع اللَّه ورسوله فقد فاز فوزًا عظيمًا** ﴾ . [الأحزاب : ٧٠ ، ٧١]

أما بعد : فإن أصدق الحديث كتاب اللَّه ، وخير الهدي هدي محمد صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

ثم أما بعد : فإن الرسول صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول : « **انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا** » قالوا : يا رسول اللَّه أنصره مظلومًا فكيف أنصره إن كان ظالمًا ؟ قال : « **أن تَحْجِزَه عن الظلم** » .

فعملًا بهذا الحديث أقدم هذا الكتاب دفاعًا عن الدعاة إلى اللَّه العاملين بكتاب اللَّه وسنة رسوله المتمسكين بهما الذين قد ظُلِموا من كل جهة :

فالمبتدع يبغضهم لأنهم ينكرون ما هم عليه من البدع ، ويبغضهم المقلدون لأنهم لا يرون المسلم مُلْزَمًا باتباع مذهب معين ويُبَدِّعون من يلتزم مذهبًا معينًا ، ويبغضهم المتميعون المتساهلون لأنهم تمسكوا بكتاب اللَّه على الشكل الذي يريده اللَّه ورسوله منهم ، ويبغضهم المتشددون كالخوارج لأنهم اعتدلوا وناقضوهم في كثير مما يعتقدون فلا يُكَفِّرون إلا من كفر بدليل صريح ، وهكذا أيضًا يبغضهم الحكام الحاكمون بغير كتاب اللَّه وسنة رسوله ؛ لأنهم حَكَّمُوا كتاب اللَّه وسنة رسوله ، وتحالف مع هؤلاء المبغضين أعداء الإسلام وأذنابهم ورموهم بشتى التهم كذبًا وبهتانًا .

والحمد للَّه كلما كثر أعداء السنة ازداد إقبال الناس على العلم النافع والعقيدة الصافية المأخوذة من كتاب اللَّه وسنة نبيه الصحيحة ، حتى أصبح الدعاة إلى اللَّه مدار حديث كثير من الناس وذلك سبب من أسباب انتشار الدعوة إلى اللَّه .

ولما أصبح أعداء الإسلام كلما أرادوا ضرب جماعة من الجماعات سموهم متطرفين وشوهوا سمعتهم وزهدوا الناس فيهم ، استعنت باللَّه على تأليف هذه الرسالة ، وسوف يعرف إن شاء اللَّه في كتابنا هذا من هو المتطرف من غيره .

فيا معشر الدعاة إلى اللَّه ركضًا إلى الأمام في سبيل اللَّه دعوةً إلى اللَّه بالكتابة والخطابة والتدريس دون كلل ودون ملل ؛ حتى يظهر اللَّه دينه أو تلقوه وأنتم على ذلك ، ولا يغرنكم غمز الغامزين وسخرية الساخرين وتهديد ذوي البطش ، فإن اللَّه سبحانه معكم ولن يضيعكم ﴿ **وللَّه العزة ولرسوله وللمؤمنين** ﴾ [المنافقون : ٨] ، ومن كان اللَّه معه فمن عليه ؟ ﴿ **إن اللَّه مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** ﴾ [النحل : ١٢٨] . ﴿إن اللَّه يدافع عن الذين آمنوا إن اللَّه لا يحب كل خوانٍ كفور﴾ [الحج : ٣٨] .

وأخيرًا أذكر هذا الحديث تعزية لكل داعية إلى اللَّه :

قال الترمذي رحمه اللَّه (ج٤ ص٦٦٧) :

ثنا أحمد بن محمد بن موسى أخبرنا عبد اللَّه بن المبارك أخبرنا ليث بن سعد وابن لهيعة عن قيس بن الحجاج قال (ح) وحدثنا عبد اللَّه بن عبد الرحمن أخبرنا أبو الوليد حدثنا ليث بن سعد حدثني قيس بن الحجاج المعنى واحد عن حنشٍ الصنعاني عن ابن عباس قال : كنت خلف رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يومًا فقال : « **يا غلام! إني أعلمك كلمات : احفظ اللَّه يحفظك ، احفظ اللَّه تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل اللَّه ، وإذا استعنت فاستعن باللَّه ، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه اللَّه لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه اللَّه عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف** » . قال : هذا حديث حسن صحيح .

وقد ذكرت في فصل (ليس المتمسك بالسنة متشددًا) كلامَ بعضِ الكُتّاب العصريين الحاقدين الذين يلمزون الدعاة إلى اللَّه ويتهمونهم بشتى التهم ، وهم إما برآء من ذلك أوْ يكون معهم الحق ، ولكن لم أستقص كل الكاتبين ، واكتفيت بالرد على الغزالي ، وعاصم عجيلة ، وصادق أمين ، وهناك آخرون من أمثال الصابوني في صلاة التراويح وآخرون لا يتسع المجال للرد عليهم ومنهم من ليس أهلًا أن يرد عليه ، ولقد أحسن من قال :

لو كل كلب عوى ألقمته حجرًا   لأصبح الصخر مثقالًا بدينار

أبـو ذر

عبد العزيز بن يحيى بن أحمد مساوى البرعي اليمني

* * *

تعريف الغلو والتشدد والتطرف والتنطع والمبالغة والشذوذ

١- **الغلو**: قال في «النهاية»: غلا، فيه: «**إياكم والغلو في الدين**» أي: التشدد فيه ومجاوزة الحد كحديثه الآخر: «**إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق**».

وقيل: معناه البحث عن بواطن الأشياء والكشف عن عللها وغوامض متعبداتها.

ومنه الحديث: «**وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه**». إنما قال ذلك لأن من أخلاقه وآدابه التي أمر بها القصد في الأمور وخير الأمور أوساطها:

و: (كلا طرفي قصد الأمور ذميم) اهـ المراد.

وقال في «القاموس»: غلا في الأمور غلوًّا: جاوز حده. اهـ.

٢- **التشدد**: قال في «النهاية»: شدد: وفيه: «**من يشاد الدين يغلبه**» أي: يقاويه ويقاومه ويكلف نفسه من العبادة فوق الطاقة، والمشاددة: المغالبة، ومنه حديث: «**هذا الدين قويم فأوغل فيه برفق**». اهـ.

٣- **التطرف**: قال في «القاموس»: منتهى كل شيء وقال: طرفت الناقة كفرح: رعت أطراف المرعى ولم تختلط بالنوق كتطرفت.

وقال الجوهري في «الصحاح»: والطرف أيضًا مصدر قولك: طرفت الناقة بالكسر إذا تطرفت أي: رعت أطراف المرعى ولم تختلط بالنوق. اهـ.

قلت : ولم يستعمل السلف ولا العرب من قبلهم التطرف بمعنى الغلو ، وإنما هو استعمال عصري لا نعلم لهم سلفًا ، ووجه استدلالهم - والله أعلم - هو أن الأمر له طرفان ووسط فأحد الطرفين تساهل والآخر تشدد ، فانتفت التسمية عن المتساهل إذ الموصوف بها مضاد للمتساهل ومناقض له كل المناقضة ، وانتفت التسمية عن المتوسط بداهة إذ الذي في الوسط ليس على طرف عقلًا وفطرةً ، فما بقي من يوصف بهذا الوصف إلا الذي قد جاوز التوسط ووصل إلى الطرف الثاني وهو الغلو والتشدد . هذا ما يظهر لي من وجه استدلالهم به ، والله أعلم .

وهو ظاهر قولهم ، وإلا فهم يعنون بالمتشدد والمتطرف : المعتدل المتمسك بدينه إذ يظهر ذلك من خلال كلامهم كما سنوضحه إن شاء الله .

٤- **التنطع** : قال في « النهاية » : فيه : « **هلك المتنطعون** » هم المتعمقون في الكلام المتكلمون بأقصى حلوقهم ، مأخوذ من النطع وهو الغار الأعلى من الفم ثم استعمل في كل تعمق قولًا أو فعلًا . اهـ المراد .

وقال في « القاموس » : تنطع في الكلام تعمق وغالي وتأنق وفي عمله تحذق . اهـ .

٥- **المبالغة** : قال في « النهاية » : وأما الكسر فقال الهروي : أراه من المبالغين في التبليغ يقال : بالغ يبالغ مبالغةً وبلاغًا إذا اجتهد في الأمر . اهـ .

قال في « القاموس » : ويروى بالكسر من المبالغين في التبليغ من بالغ مبالغةً وبلاغةً إذا اجتهد ولم يقصر .

هذا ما في « القاموس » و« النهاية » ، ولم أجد فيهما ولا في غيرهما مما اطلعت عليه ما يدل على أن العرب استعملوا (المبالغة) بمعنى مجاوزة الحد ، غاية ما ذكروا فيها أنها بمعنى اجتهد ولم يقصر ، ولا يلزم من الاجتهاد الخروج عن الحد .

بل قد ورد مدح المبالغة كما في الحديث : « **بالغ في الاستنشاق إلا أن تكون**

صائمًا » ، فعلى هذا تكون المبالغة ممدوحة ، إن وافقت الشرع ، وتكون مذمومة إذا خالفت الشرع .

٦- **الشذوذ** : قال في « النهاية » : في حديث قتادة وذكر قوم لوط « **ثم أتبع شذاذ القوم صخرًا منضودًا** » أي : من شذ منهم وخرج عن جماعته . اهـ .

وفي « القاموس » : شَذَّ يَشُذُّ وَيشِذُّ شذًّا وشذوذًا ندر عن الجمهور . اهـ المراد .

وقد عقد ابن حزم فصلًا للشذوذ في كتابه « إحكام الأحكام » نثبته هنا إن شاء اللّه .

قال رحمه اللّه (ج٥ ص٦٦١) :

قال أبو محمد : الشذوذ في اللغة التي خوطبنا بها وهو الخروج عن الجملة ، وهذه اللفظة في الشريعة موضوعة باتفاق على معنى ما ، واختلف الناس في ذلك المعنى .

فقالت طائفة : الشذوذ هو مفارقة الواحد من العلماء سائرهم ، وهذا قول قد بينا بطلانه في باب الكلام في الإجماع من كتابنا هذا والحمد للّه رب العالمين .

وذلك أن الواحد إذا خالف الجمهور إلى حق فهو محمود ممدوح ، والشذوذ مذموم بإجماع فمحال أن يكون المرء محمودًا مذمومًا من وجه واحد في وقت واحد ، وممتنع أن يوجب شيء واحد الحمد والذم معًا في وقت واحد من وجه واحد وهذا برهان ضروري ، وقد خالف جميع الصحابة رضي اللّه عنهم أبا بكر في حرب أهل الردة فكانوا في حين خلافهم مخطئين كلهم فكان هو وحده المصيب فبطل القول المذكور .

وقالت طائفة : الشذوذ هو أن يجمع العلماء على أمر ما ، ثم يخرج رجل منهم عن ذلك القول الذي جامعهم عليه ، وهذا قول أبي سليمان وجمهور أصحابنا ، وهذا المعنى لو وجد نوع من أنواع الشذوذ وليس حدًّا للشذوذ ولا رسمًا له .

وهذا الذي ذكروا - لو وجد - شذوذ وكفر معًا لما قد بينا في باب الكلام في الإجماع أن من فارق الإجماع وهو يوقن أنه إجماع فقد كفر مع دخول ما ذكر في الامتناع والمحال، وليت شعري متى تيقنا إجماع جميع العلماء كلهم في مجلس واحد فيتفقون ثم يخالفهم واحد منهم.

والذي نقول به - وبالله تعالى التوفيق - أن حد الشذوذ هو مخالفة الحق، فكل من خالف الصواب في مسألة ما فهو فيها شاذ، وسواء كانوا أهل الأرض كلهم بأسرهم أو بعضهم والجماعة والجملة أهل الحق، ولو لم يكن في الأرض إلا واحد فهو الجماعة وهو الجملة، وقد أسلم أبو بكر وخديجة رضي الله عنهما فقط فكانا هما الجماعة وكان سائر أهل الأرض - غيرهما وغير رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم - أهل شذوذ وفرقة، وهذا الذي قلنا لا خلاف فيه بين العلماء، وكل من خالف فهو راجع إليه ومقر به شاء أو أبى، والحق هو الأصل الذي قامت السموات والأرض به قال الله تعالى: ﴿**ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق**﴾ [الأحقاف: ٣].

فإذا كان الحق هو الأصل فالباطل خروج عنه وشذوذ منه، فلما لم يجز أن يكون الحق شذوذًا وليس إلا حق أو باطل صح أن الشذوذ هو الباطل، وهذا تقسيم أوله ضروري وبرهان قاطع كاف ولله الحمد. ويُسْأل من قال: إن الشذوذ هو مفارقة الواحد للجماعة: ما تقول في خلاف الاثنين للجماعة؟ فإن قال: هو شذوذ سئل عن خلاف الثلاثة للجماعة ثم يزاد واحدًا واحدًا هكذا أبدًا فلا بد له من أحد أمرين: إما أن يحد عددًا ما بأنه شذوذ وأن ما زاد عليه ليس شذوذًا؛ فيأتي بكلام فاسد لا دليل عليه فيصير شاذًّا على الحقيقة، أو يتمادى حتى يخرج عن المعقول وعن إجماع الأمة فيصير شاذًّا على الحقيقة أيضًا، ولا بد له من ذلك وبالله تعالى التوفيق[1].

(١) وبيان ذلك: أن الصحابة رضي الله عنهم توفي عنهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله =

فكل من أداه البرهان من النص أو الإجماع المتيقن إلى قول ما ، ولم يُعرف أحد قبله قال بذلك القول ففرض عليه القول بما أدى إليه البرهان ، ومن خالفه فقد خالف الحق ، ومن خالف الحق فقد عصى اللّه تعالى قال تعالى : ﴿**قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين**﴾ [البقرة : ١١١] ، ولم يشترط تعالى في ذلك أن يقول به قائل قبل القائل به ؛ بل أنكر تعالى ذلك على من قاله إذ يقول عز وجل حاكيًا عن الكفار منكرًا عليهم أنهم قالوا : ﴿**ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق**﴾ [ص : ٧] .

قال أبو محمد : ومن خالف هذا فقد أنكر على جميع التابعين وجميع الفقهاء بعدهم لأن المسائل التي تكلم فيها الصحابة رضي اللّه عنهم من الاعتقاد أو الفتيا فكلها محصور مضبوط معروف عند أهل النقل من ثقات المحدثين وعلمائهم ، فكل مسألة لم يُرْوَ فيها قول عن صاحب لكن عن تابع فَمَنْ بعده فإن ذلك التابع قال في تلك المسألة بقول لم يقله أحد قبله بلا شك ، وكذلك كل مسألة لم يحفظ فيها قول عن صاحب ولا تابع وتكلم الفقهاء بعدهم فإن ذلك الفقيه قد قال في تلك المسألة بقول لم يقله أحد قبله ، ومن ثقف هذا الباب فإنه يجد لأبي حنيفة ومالك والشافعي أزيد من عشرة آلاف مسألة لم يقل فيها أحد قبلهم بما قالوا ، فكيف يسوغ هؤلاء الجهال للتابعين ثم لمن بعدهم أن يقولوا قولًا لم يقله أحد قبلهم.ويحرم ذلك على من بعدهم إلينا ثم إلى يوم القيامة ، فهذا من قائله دعوى بلا برهان وتخرص في الدين وخلاف الإجماع على جواز ذلك لمن

= وسلم وهو عنهم راض ، كلهم على الكتاب والسنة ، على قلب رجل واحد ، ثم ظهرت بعد ذلك بعض البدع ، وهم نفر قليل شذوا عن جماعة المسلمين ، ولا يزال السواد الأعظم على هدي رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم ، فلو فرضنا أن الناس اتبعوا أهل البدع ولم يبق على ما كان عليه رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم إلا شخص واحد لكان هو الجماعة الثابت على سنة رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم وكل أهل الأرض آنذاك شذاذ ، وكثرتهم لا تنقل باطلهم إلى الحق كما أن قلة أهل الحق لا تنقل حقهم إلى الباطل . واللّه أعلم .

ذكرنا، فالأمر كما ذكرنا فمن أراد الوقوف على ما ذكرنا فليضبط كل مسألة جاءت عن أحد من الصحابة فهم أول هذه الأمة، ثم ليضرب بيده إلى كل مسألة خرجت عن تلك المسائل فإن المفتي فيها قائل بقول لم يقله أحد قبله، إلا أن بيننا نحن وبين غيرنا فرقًا وهو أننا لا نقول في مسألة قولًا أصلًا إلا وقد قاله تعالى في القرآن أو رسوله عليه السلام فيما صح عنه وكفى بذلك أنسًا وحقًّا، وأما من خالفنا فإن أكثر كلامه فيما لم يسبق إليه فمن رأيه، وكفى بهذا وحشة، والحمد لله رب العالمين كثيرًا، وصلى الله على محمد خاتم النبيين وحسبنا الله ونعم الوكيل.

* * *



أدلة التحذير من الغلو

قال تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على اللَّه إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول اللَّه وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا باللَّه ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرًا لكم إنما اللَّه إله واحد سبحانه أن يكون له ولد * له ما في السموات وما في الأرض وكفى باللَّه وكيلًا﴾ [النساء: ١٧١].

وقال: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن اللَّه هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا اللَّه ربي وربكم إنه من يشرك باللَّه فقد حرم اللَّه عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار * لقد كفر الذي قالوا إن اللَّه ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم * أفلا يتوبون إلى اللَّه ويستغفرونه واللَّه غفور رحيم * ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون * قل أتعبدون من دون اللَّه ما لا يملك لكم ضرًا ولا نفعًا واللَّه هو السميع العليم * قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرًا وضلوا عن سواء السبيل﴾

[المائدة: ٧٢ - ٧٧].

وقال: ﴿وقالت اليهود عزير ابن اللَّه وقالت النصارى المسيح ابن اللَّه ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم اللَّه أنى يؤفكون * اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون اللَّه والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾ [التوبة: ٣٠، ٣١].

وقال تعالى: ﴿ما كان لبشرٍ أن يؤتيه اللَّه الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول

للناس كونوا عبادًا لي من دون اللّه ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون * ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابًا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ﴾ [آل عمران: ٧٩ - ٨٠].

وقال: ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا * لقد جئتم شيئًا إدًّا * تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدًّا * أن دعوا للرحمن ولدًا * وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدًا * إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدًا ﴾ [مريم: ٨٨ - ٩٣].

وقال: ﴿ لا يكلف اللّه نفسًا إلا وسعها ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. وقال: ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ [الحشر: ٧]، وقال: ﴿ وما كان ربك نسيًا ﴾ [مريم: ٦٤]، وقال: ﴿ ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرًا لهم وأشد تثبيتًا ﴾ [النساء: ٦٦]، وقال: ﴿ فاتقوا اللّه ما استطعتم ﴾ [التغابن: ١٦]، وقال: ﴿ يريد اللّه بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقال: ﴿ ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان اللّه فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون ﴾ [الحديد: ٢٧].

وقال: ﴿ ما يريد اللّه ليجعل عليكم من حرج ﴾ [الحج: ٧٨]، وقال: ﴿ يريد اللّه أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفًا ﴾ [النساء: ٢٨]، وقال: ﴿ ذلك تخفيف من ربكم ورحمة ﴾ [البقرة: ١٧٨].

* * *



ذكر أحاديث النهي عن الغلو

١- قال البخاري رحمه الله (ج٩ ص١١٧):

ثنا أحمد بن يونس ثنا إبراهيم بن سعد أخبرنا ابن شهاب سمع سعيد بن المسيب يقول سمعت سعد بن أبي وقاص يقول: رد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن له لاختصينا.

أخرجه مسلم في النكاح (ج٢ ص١٠٢٠)، والترمذي في النكاح (ج٣ ص٣٨٥) وقال: حديث حسن صحيح، والنسائي (ج٦ ص٥٨)، وابن ماجه (ج١ ص٥٩٣)[1].

ورواه أبو داود من حديث عائشة: (ج٢ ص١٠١) قال:

ثنا عبيد الله بن سعد حدثني عمي ثنا أبي عن ابن إسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعث إلى عثمان بن مظعون فجاءه فقال: «**يا عثمان أرغبت عن سنتي؟**». قال: لا والله يا رسول الله ولكن سنتك أطلب، قال: «**فإني أنام وأصلي وأصوم وأفطر وأنكح النساء، فاتّق الله يا عثمان، فإن لأهلك عليك حقًّا، وإن لضيفك عليك حقًّا، وإن لنفسك عليك حقًّا، فصم وأفطر وصل ونم**».

ورواه الدارمي في «سننه» (١٣٣/٢):

فقال: ثنا محمد بن يزيد الحزامي ثنا يونس بن بكير ثني ابن إسحاق ثني الزهري عن سعيد بن المسيب عن سعد بن أبي وقاص.... ثم ذكر شبه هذه القصة.

---

(١) تبتل، قال كما في «ترتيب القاموس» (٢١٢/١): ترك النكاح: وزهد فيه.

لكن هذا السند لا ينتهض لمقاومة السند الأول ؛ لأن الراوي عن ابن إسحاق هنا يونس بن بكير وهو صدوق يخطئ ، وقال الآجري عن أبي داود : ليس هو عندي حجة ، كان يأخذ ابن اسحاق فيوصله بالأحاديث .

والراوي عنه محمد بن يزيد إن كان أبا هاشم الرفاعي ؛ فقد قال البخاري : رأيتهم مجتمعين على ضعفه ، وإن كان غيره فقد قال فيه أبو حاتم : مجهول ، ولا ينفعه توثيق ابن حبان له فقد كان يوثق المجاهيل .

أما السند الآخر ، فالراوي عن ابن إسحاق يعقوب بن إبراهيم ثقة فاضل ، والراوي عنه ابن أخيه عبيد الله بن سعد الزهري ثقة .

فعلى هذا ؛ فالحديث عن ابن إسحاق عن هشام لا عن الزهري ، والصحيح عن ابن إسحاق العنعنة ، وعلى هذا يتوقف في ثبوت القصة لعنعنة ابن إسحاق .

وأما أصل الحديث فثابت كما تقدم في رواية البخاري ، والظاهر أن هذا الوهم ممن دون ابن إسحاق والله أعلم .

ووجه الاستدلال واضح من الحديث ، وهو أن الاختصاء تشدد وغلو وابتعاد عن سنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يظهر صاحبه من خلاله زهده في النساء ورغبته في الآخرة ولن ينال ذلك إلا باتباع الكتاب والسنة ، فحرم عليه الرسول ذلك لما فيه من الضرر والله سبحانه يقول : **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾** [المائدة : ٨٧] .

قال ابن كثير في « تفسيره » : قوله : **﴿ولا تعتدوا﴾** يحتمل أن يكون المراد منه ولا تبالغوا في التضييق على أنفسكم في تحريم المباحات عليكم كما قاله من قاله من السلف . اهـ .

وقد ذكر ابن كثير في تفسير الآية عدة أحاديث في من حرم على نفسه مباحًا ، أو أوجب على نفسه ما ليس بواجب ، كقصة الثلاثة الذين قال أحدهم لا يأكل اللحم ، والآخر لا يتزوج النساء ، وقال الثالث لا ينام على فراش ، وكذا حديث عثمان بن مظعون وغيره .

٢- قال الإمام مسلم رحمه اللّٰه (ج٢ ص١٠٢٠):

حدثنا أبو بكر بن نافع العبدي حدثنا بهذا حماد عن ثابت عن أنس أن نفرًا من أصحاب النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم سألوا أزواج النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم عن عمله في السر فقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أنام على فراشٍ، فحمد اللّٰه وأثنى عليه فقال: **«ما بال أقوامٍ قالوا كذا وكذا؟ لكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني»**.

ورواه البخاري (ج٩ ص١٠٤).

قال: ثنا سعيد بن أبي مريم أخبرني محمد بن جعفر أخبرنا حميد الطويل أنه سمع أنس بن مالك فذكره.

وأخرجه النسائي في النكاح (ج٦ ص٦٠). وأحمد في «المسند» (٣/٢٤١) عن مؤمل عن حماد به.

ووجه الاستدلال من الحديث أنهم أرادوا أن يعملوا عملًا يدركون به رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم وأنّى لهم ذلك، فما ترك لهم رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم فرصة في إدخال البدع؛ فبين أن ذلك تجاوز للحد وأن الحق وسط وهو سنة رسول اللّٰه، قال الرسول صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم: **«من رغب عن سنتي فليس مني»**.

٣- قال مسلم رحمه اللّٰه (ج٤ ص٢٠٥٥):

ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا حفص بن غياث ويحيى بن سعيد عن ابن جريج عن سليمان بن عتيق عن طلق بن حبيب عن الأحنف بن قيس عن عبد اللّٰه قال: قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم: **«هلك المتنطعون»**.

ورواه أبو داود (ج٢ ص٨٥)، وأحمد في «المسند» (ج١ ص٣٨٦).

٤- قال البخاري رحمه اللّٰه (ج٥ ص٣٠١):

حدثنا يعقوب ثنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي اللّٰه عنها قالت: قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**».

رواه مسلم في الأقضية (ج٣ ص١٣٤٣)، وأبو داود في السنة (ج٥ ص١٢)، وابن ماجه في المقدمة (رقم ١٤)، والدارقطني (ج٤ ص٢٢٧).

ووجه الاستدلال منه أن الشذوذ والغلو ليس من أمر ديننا ولم يأذن به اللّٰه ولا رسوله؛ بل تواترت الأدلة في النهي عن الغلو كما تراها بين يديك تربو عن عشرين حديثًا.

٥- قال البخاري (ج٣ ص٢٦):

وقال عبد اللّٰه[1] بن مسلمة عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي اللّٰه عنها قالت: كانت عندي امرأة من بني أسد فدخل عليَّ رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم فقال: «**من هذه؟**»، قلت: فلانة لا تنام الليل تذكر من صلاتها، فقال: «**مه، عليكم ما تطيقون من الأعمال فإن اللّٰه لا يمل حتى تملوا**».

وأخرجه أيضًا في كتاب الإيمان (ج١ ص١٠١) «فتح»، وأخرجه مسلم في صلاة المسافرين (ج١ ص٥٤٢) عن الزهري عن عروة به بلفظ قريب، والنسائي (ج٣ ص٢١٨)، ومالك في «الموطأ» (ج١ ص٣٦٠).

٦- قال البخاري في الصوم (ج٤ ص٢٢٤):

ثنا محمد بن بشار ثنا غندر ثنا شعبة عن مغيرة قال سمعت مجاهدًا عن عبد اللّٰه بن عمرو رضي اللّٰه عنهما عن النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم قال:

---

(١) قال الحافظ: كذا للأكثر وفي رواية الحموي والمستملي: (حدثنا عبد اللّٰه)، وكذا رويناه في «الموطأ».

«**صُمْ من الشهر ثلاثة أيام**»، قال: أطيق أكثر من ذلك فما زال حتى قال: «**صُمْ يومًا وأفطر يومًا**»، فقال: «**اقرأ القرآن في كل شهر**»، قال: إني أطيق أكثر فما زال حتى قال: «**في ثلاث**».

ثم أعاده البخاري من طريقين إلى عبد الله بن عمرو بلفظ أتم، والحديث أخرجه مسلم في الصوم (ج٢ ص ٨١٢- ٨١٨)، وأبو داود في الصوم (ج٢ ص ٨٢١)، والنسائي في الصوم (ج٤ ص ٢٠٨- ٢١٥)، وابن ماجة في الصوم (ج١ ص ٥٤٦)، وأحمد في مسند عبد الله بن عمرو (ج٢) وأكثر في ذكر طرقه. والطيالسي في «المسند» (ص ٢٩٨، ٣٠١)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (ج٢ ص١٠٠)، والحميدي في «مسنده» (ج٢ ص٢٦٩)، والأصبهاني في «الحلية» (ج٣ ص٢٧٩) كلهم عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

٧- قال البخاري رحمه الله تعالى: (ج١١ ص٥٨٦):

ثنا موسى بن إسماعيل ثنا وهيب ثنا أيوب عن عكرمة عن ابن عباس قال: بينا النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يخطب إذا هو برجل قائم فسأل عنه، فقالوا: أبو إسرائيل نذر أن يقوم ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم، فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**مُرْهُ فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه**».

أخرجه أبو داود (ج٣ ص٥٩٩)، وابن ماجة (١ ص٦٩٠)، ولم يُسَمَّ الناذر عند ابن ماجة.

٨- قال البخاري رحمه الله (ج١ ص٩٣):

ثنا عبد السلام بن مطهر ثنا عمر بن علي عن معن بن محمد الغفاري عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «**إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة**».

وأخرجه النسائي (ج٨ ص١٢١) وزاد: «**ويسروا**»، ورواه أحمد من حديث أبي برزة (ج٤ ص٤٢٢)، ومن حديث بريدة (ج٥ ص٣٥٠).

٩- قال البخاري رحمه الله (ج٦ ص٤٧٨):

حدثنا الحميدي ثنا سفيان قال سمعت الزهري يقول أخبرني عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس سمع عمر رضي الله عنه يقول علي المنبر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله**».

وأخرجه الدارمي في الرقاق (ج٢ ص٣٢٠)، وأحمد في «المسند» (ج١ص٤٧).

١٠- قال أبو داود (ج٥ ص١٥٤):

ثنا مسدد ثنا بشر - يعني ابن المفضل - ثنا أبو مسلمة سعيد بن يزيد عن أبي نضرة عن مطرف قال أبي: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقلنا: أنت سيدنا فقال: «**السيد: الله تبارك وتعالى**»، قلنا: وأفضلنا فضلًا وأعظمنا طولًا فقال: «**قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان**».

هذا حديث صحيح رجاله كلهم ثقات، ورواه أحمد (ج٤ ص٢٥).

١١- قال أحمد رحمه الله (ج٣ ص٢٤٩):

ثنا عفان ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن رجلًا قال: يا محمد يا خيرنا وابن خيرنا ويا سيدنا وابن سيدنا فقال: «**قولوا بقولكم ولا يستجرينكم الشيطان**» قال إحدى الكلمتين: «**أنا محمد عبد الله ورسوله أنا محمد عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل**».

ورواه أيضًا (ج٣ ص٢٤٩) من «المسند» عن مؤمل عن حماد عن حميد عن أنس.

١٢- قال البخاري رحمه اللّٰه (ج٤٠ ص٧٨):

حدثنا ابن سلام أخبرنا الفزاري عن حميد الطويل عن ثابت عن أنس رضي اللّٰه عنه أن النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم رأى شيخًا يهادى بين ابنيه قال: **«ما بال هذا؟»**، قالوا: نذر أن يمشي، قال: **«إن اللّٰه عن تعذيب هذا نفسه لغني»**، وأمره أن يركب.

وأخرجه في الأيمان والنذور (ج١١ ص٥٨٥)، وأخرجه مسلم في النذور (ج٣ ص١٢٦٤)، وأبو داود في الأيمان والنذور (ج٣ ص٦٠٠)، والترمذي (ج٤ ص١١١)، والنسائي (ج٧ ص٣٠)، وأحمد في «المسند» (ج٣ ص١٠٦، ١١٤، ١٨٣، ٢٧١):

١٣- قال الإمام مسلم رحمه اللّٰه (ج٢ ص٧٧٩):

حدثنا هارون بن سعيد الأيلي ثنا ابن وهب أخبرني عمرو - وهو ابن الحارث - عن عبد ربه بن سعيد عن عبد اللّٰه بن كعب الحميري عن عمر بن أبي سلمة أنه سأل رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم: أيُقَبِّل الصائم؟ فقال له رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم: **«سَلْ هذه»** لأم سلمة، فأخبرته أن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم يصنع ذلك، فقال: يا رسول اللّٰه قد غفر لك اللّٰه ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال له رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم: **«أما واللّٰه إني لأتقاكم للّٰه وأخشاكم له»**.

وجه الدلالة فيه: أن عمر بن أبي سلمة رأى أن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم قد غُفِر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فظن عمر أن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم وإن بَدَر منه شيء من تحرك شهوة وغيرها فقد غفر اللّٰه له ذنبه ولن يؤاخذه عليه، فبين له النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم أنه لا

هدي خير من هديه ، وتبين لنا من خلال ذلك أن فعل عمر فيه غلو ومبالغة فنهي عن ذلك .

١٤- قال مسلم رحمه الله (ج٢ ص٧٨٥) :

حدثنا محمد بن المثنى ثنا عبد الوهاب (يعني ابن عبد المجيد) ثنا جعفر عن أبيه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم خرج عام الفتح إلى مكة في رمضان فصام حتى بلغ كراع الغميم فصام الناس ، ثم دعا بقدح من ماء فرفعه حتى نظر الناس إليه ، فقيل له بعد ذلك : إن بعض الناس قد صام فقال : « **أولئك العصاة ، أولئك العصاة** » .

أخرجه الترمذي (ج٣ ص٨٠ ، ٨١) ، والنسائي (ج٤ ص١٧٧) .

قال الإمام النووي رحمه الله في « شرح مسلم » (ج٨ ص٢٣٢) :

قوله : فقيل له بعد ذلك : إن بعض الناس قد صام فقال : « **أولئك العصاة أولئك العصاة** » ، هكذا هو مكرر مرتين وهو محمول على من تضرر بالصوم ، أو أنهم أُمروا بالفطر أمرًا جازمًا لمصلحة بيان جوازه فخالفوا الواجب ، إلى أن قال : يؤيد التأويل الأول قوله في الرواية الثانية : « **إن الناس قد شق عليهم الصيام** » اهـ .

قلت : ومن هنا تم الاستدلال على ما نحن فيه حيث غلا بعضهم وأراد أن يأتي بشيء زائد على فعل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فسماهم الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم العصاة .

١٥- قال البخاري رحمه الله (ج٤ ص١٨٣) :

ثنا آدم ثنا شعبة ثنا محمد بن عبد الرحمن الأنصاري سمعت محمد بن عمرو ابن الحسن بن علي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في سفر فرأى زحامًا ورجلًا قد ظُلِّلَ عليه فقال : « **ما هذا ؟** » ، فقالوا : صائم ، فقال : « **ليس من البر الصوم في السفر** » .

وأخرجه مسلم (ج٣ ص٧٨٦)، وأبو داود (ج٢ ص٧٩٦)، والنسائي (ج٤ ص١٧٥)، وأحمد (ج٣ ص٢٩٩، ٣١٧، ٣٥٢).

وجه الدلالة فيه: أن الرجل بالغ في تهذيب نفسه فصام في السفر مع حصول الضرر، فبين النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم أن فعله هذا ليس من البر، والحق وسط، يجوز الصوم في السفر لمن لم يصبه نَصَبٌ من ذلك؛ فقد ثبت أن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم صام في سفره، أما إذا حصل النصب فإن الرسول صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم يقول: «**ليس من البر الصيام في السفر**».

قال أحمد رحمه اللّٰه (ج٥ ص٤٣٤):

ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن صفوان بن عبد اللّٰه عن أم الدرداء عن كعب بن أبي عاصم الأشعري وكان من أصحاب السقيفة قال: سمعت رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم يقول: «**ليس من امبر امصيام في امسفر**».

وهذا سند صحيح رجاله كلهم ثقات، وقد ألزم الدارقطني البخاري ومسلمًا إخراجه. انظر «الإلزامات».

١٦- قال البخاري رحمه اللّٰه (ج٧ ص٣١٥):

ثنا علي ثنا بشر بن المفضل ثنا خالد بن ذكوان عن الربيع بنت معوذ قالت: دخل علي النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم غداة بُنِيَ علي فجلس على فراشي كمجلسك مني وجويريات يضربن بالدف يندبن من قتل من آبائهن يوم بدر حتى قالت جارية: وفينا نبي يعلم ما في غد، فقال النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم: «**لا تقولي هكذا وقولي ما كنت تقولين**».

ثم أعاده في النكاح (ج٩ ص٢٠٢) عن مسدد عن بشر به.

قال ابن حجر في «التهذيب» في ترجمة خالد بن ذكوان: قال ابن خزيمة

عقب حديثه في الصيام الذي رواه عن الربيع بنت معوذ : خالد بن ذكوان حسن الحديث ، وفي القلب منه شيء اهـ .

قلت : وفي كلامه ما يخشى من انقطاع بينهما ، ولكن البخاري في « التاريخ الكبير » في ترجمة خالد يقول : سمع ربيع .

قلت : وقد صرح بالتحديث في « مسند أحمد » فصح الحديث والحمد لله .

والحديث أخرجه أبو داود (ج٥ ص٢٢٠) في الأدب عن مسدد عن بشر به ، وأخرجه الترمذي عن حميد بن مسعدة البصري عن بشر به (ج٣ ص٣٩٠) ، وأحمد في « المسند » (ج٦ ص٣٥٩) عن عبد الصمد ومهنى بن عبد المجيد أبي شبيل عن حماد عن خالد به ، قال أحمد : وقال عبد الصمد في حديثه : حدثنا أبو الحسين عن الربيع ، وقال خالد في حديثه : حدثتني الربيع بنت معوذ اهـ .

١٧- قال البخاري رحمه الله في الجهاد (٦/١٦٢) رقم (٣٠٣٨) :

ثنا يحيى ثنا وكيع عن شعبة عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعث معاذًا وأبا موسى إلى اليمن قال : « **يسرا ولا تعسرا ، وبشرا ولا تنفرا ، وتطاوعا ولا تختلفا** » .

الحديث رواه مسلم بهذا اللفظ (٣/١٣٥٩) عن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع به .

وفي الأشربة (٣/١٥٨٦) ، ورواه البخاري في المغازي عن أبي بردة مرسلًا ، ولفظه أطول ، وفيه بعض الشاهد ، ثم أعاد البخاري بعض القصة متصلة انظر (٨/٦٠- ٦٢) رقم (٤٣٤١) وما بعده .

١٨- قال البخاري رحمه الله (ج٢ ص١٩٢) :

ثنا محمد بن بشار ثنا غندر ثنا شعبة عن عمرو سمعت جابر بن عبد الله قال : كان معاذ بن جبل يصلي مع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثم يرجع فيؤم

قومه، فصلى العشاء فقرأ بالبقرة فانصرف الرجل فكأن معاذًا تناول منه، فبلغ النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فقال: «**فَتَّان فَتَّان فَتَّان**»، ثلاث مرات أو قال: «**فاتنًا فاتنًا فاتنًا**»، وأمره بسورتين من وسط المفصل، قال عمرو: لا أحفظهما.

ثم أعاده (ج٢ ص٢٠٠) وفي مواضع أخرى بألفاظ متقاربة وفي بعضها: «**أفتان أنت يا معاذ؟**».

وأخرجه مسلم (ج١ ص ٣٣٩)، وأبو داود (ج١ ص٥٠٢) باب في تخفيف الصلاة، والنسائي (ج٢ ص٩٧، ٩٨).

١٩- قال الإمام مسلم رحمه اللَّه (ج٢ ص٩٧٥):

ثنا زهير بن حرب ثنا يزيد بن هارون أخبرنا الربيع بن مسلم القرشي عن محمد بن زياد عن أبي هريرة قال: خطبنا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فقال: «**أيها الناس قد فرض اللَّه عليكم الحج فحجوا**»، فقال رجل: أَكُلَّ عام يا رسول اللَّه؟ فسكت حتى قالها ثلاثًا، فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «**لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم**»، ثم قال: «**ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه**».

وأعاده (ج٤ ص١٨٣٠) في «الفضائل»، والنسائي في «الحج» (ج٥ ص١١٠، ١١١).

٢٠- قال البخاري رحمه اللَّه تعالى (ج١٣ ص٢٧٦) في كتاب الاعتصام: باب ما يكره من التعمق والتنازع والغلو في الدين والبدع:

حدثنا عمر بن حفص ثنا أبي ثنا الأعمش ثنا مسلم عن مسروق قال: قالت عائشة رضي اللَّه عنها: صنع النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم شيئًا ترخص فيه وتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فحمد اللَّه وأثنى

عليه ثم قال : « **ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه؟ فوالله إني أعلمهم بالله وأشدهم له خشية** » .

وقد أخرجه البخاري في الأدب (ج١ ص٥١٣) ، وأخرجه مسلم في الفضائل (ج٤ ص١٨٢٩) ، وأخرجه النسائي في « عمل اليوم والليلة » (٢٤٤ رقم ٢٣٤) .

وقال البخاري رحمه الله (ج١٢ ص٧) :

ثنا محمد بن سلام أخبرنا عبدة عن هشام عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذا أمرهم أمرهم من الأعمال بما يطيقون ، قالوا : إنا لسنا كهيئتك يا رسول الله إن الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فيغضب حتى يعرف الغضب في وجهه ، ثم يقول : « **إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا** » .

٢١- قال البخاري رحمه الله (ج١ ص٥٣٢) :

حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن عائشة وعبد الله بن عباس قالا : لما نزل برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم طَفِقَ يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه ، فقال وهو كذلك : « **لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد** » ، يحذر ما صنعوا .

وأخرجه في مواضع أخرى من « صحيحه » ، وأخرجه مسلم (ج١ ص٣٧٦) من حديث عائشة ، والنسائي (ج٢ ص٤٠) عن عائشة وابن عباس ، وقد أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ، وأبو داود أيضًا (ج٢ ص٥٥٢) .

وجه الاستدلال من الحديث : أن اليهود والنصارى غَلَوْا في حب أنبيائهم فبنوا على قبورهم مساجد ولم يقتصروا على الأنبياء ، بل فعلوا ذلك مع الصالحين أيضًا كما في الحديث الآتي .

٢٢- قال البخاري رحمه الله (ج١ ص٥٢٣):

حدثنا محمد بن المثني ثنا يحيى عن هشام أخبرني أبي عن عائشة أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير، فذكرتا للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال: «**إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدًا وصوروا فيه تلك الصور؛ فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة**».

وأخرجه مسلم (ج١ ص٣٧٥)، والنسائي (ج٢ ص٤١).

٢٣- قال البخاري رحمه الله (ج٤ ص٢٠٩):

ثنا محمد بن بشار ثنا جعفر بن عون ثنا أبو العميس عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال: آخى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذلة فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعامًا فقال له: كُلْ، قال: فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، قال: فأكل فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم فنام، ثم ذهب يقوم فقال: نم، فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قم الآن، فصليا، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقًّا ولنفسك عليك حقًّا ولأهلك عليك حقًّا، فأعط كَلَّ ذي حق حقه، فأتى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فذكر ذلك له، فقال له النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**صدق سلمان**».

ورواه الترمذي (ج٤ ص٦٠٨).

تنبيه: كانت هذه القضية قبل نزول الحجاب، لأن سلمان الفارسي أول مشاهده الخندق، وغزوة الخندق في العام الخامس من الهجرة، وقد يكون أسلم قبل ذلك، وكان نزول الحجاب في آخر العام الخامس حين تزوج النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بزينب بنت جحش، انظر «البداية والنهاية» (١٤٧/٤).

٢٤- قال البخاري رحمه اللَّه (ج٦ ص٥٦٦) في المناقب :

ثنا عبد اللَّه بن يوسف أخبرنا مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة قالت : ما خير رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا ؛ فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه ، وما انتقم النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة اللَّه فينتقم للَّه بها .

وأعاده رحمه اللَّه (ج١٠ ص٥٢٤) و(١٢ ص٨٦، ١٧٦) ، ورواه مسلم (ج٤ ص١٨١٣) ، ومالك في « الموطأ » في كتاب الجامع (ج٥ ص٢٤٤) « شرح الزرقاني » ، وأبو داود (ج٤ ص١٤٢) .

٢٥- قال البخاري رحمه اللَّه (ج١ ص١٦٣) :

ثنا محمد بن بشار ثنا يحيى بن سعيد ثنا شعبة حدثني أبو التياح عن أنس عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال : « **يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا** » .

وأعاده (ج١ ص٥٤٢) ، ومسلم (ج٣ ص١٣٥٩) .

٢٦- قال أبو داود رحمه اللَّه تعالى (ج١ ص٦٥٨) :

حدثنا سعيد بن منصور ثنا شهاب بن خراش حدثني شعيب بن زريق الطائفي قال جلست إلى رجل له صحبة من رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقال له الحكم بن حزن الكلفي فأنشأ يحدثنا قال : وفدت إلى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم سابع سبعة أو تاسع تسعة فدخلنا عليه فقلنا : يا رسول اللَّه زُرناك فادع اللَّه لنا بخيرٍ ، فأمر بنا أو أمر لنا بشيء من التمر ، والشأن إذ ذاك دون ، فأقمنا بها أيامًا شهدنا فيها الجمعة مع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فقام متوكئًا على عصا [1] أو قوس فحمد اللَّه وأثنى عليه كلمات خفيفات

---

(١) العصا للخطيب سنة ثابتة بالأحاديث الصحيحة ، فوا عجبًا ممن يهزأ من حاملها في الخطبة ، وحجته في ذلك : أن هؤلاء يتمسكون بالقشور ، وسهل عليه أن يرى رجلًا لابسًا للبنطلون والكرفتة ، بل يرى أن ذلك انفتاح ومرونة دينية ، فأعجب لهذا المثل المغرب .

طيبات مباركات ثم قال: « **أيها الناس إنكم لن تطيقوا أو لن تفعلوا كل ما أمرتم به ولكن سددوا وأبشروا** » اهـ.

رجاله كلهم ثقات عدا شعيب بن زريق الطائفي فإنه يُحَسَّن حديثه، قال ابن حجر في « التهذيب »: روى عن الحكم بن حزن الكلفي وعنه شهاب بن خراش، قال ابن معين: ليس به بأس، وقال أبو حاتم: صالح، وذكره ابن حبان في « الثقات » اهـ.

وأما شهاب بن خراش فوثقه الأكثرون وليس فيه غير قول ابن حبان في « الضعفاء »: يخطئ كثيرًا حتى خرج عن الاحتجاج به اهـ.

وابن حبان يتحامل في التجريح فربما أطلق هذه العبارة أو ما هو أردى منها على بعض رجال « الصحيح ».

٢٧- قال البخاري رحمه اللَّه (ج١٠ ص٥٢٥):

ثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري (ح) وقال الليث حدثني يونس عن ابن شهاب أخبرني عبيد اللَّه بن عبد اللَّه بن عتبة أن أبا هريرة أخبره أن أعرابيًا بال في المسجد فثار إليه الناس، فقال لهم رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: « **دعوه وأهريقوا على بوله ذنوبًا من ماءٍ أو سجلًا من ماء فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين** ».

٢٨- قال الإمام البخاري رحمه اللَّه (ج٣ ص٣٦):

حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال: دخل النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال: « **ما هذا الحبل؟** »، قالوا: هذا حبل لزينب فإذا فترت تعلقت، فقال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: « **لا، حلوه ليصلِّ أحدكم نشاطه فإذا فتر فليقعد** ».

٢٩- قال الإمام مسلم رحمه اللَّه في كتاب الصيام (٧٧٥/٢) رقم (١١٠٤):

ثني زهير بن حرب ثنا أبو النضر هاشم بن القاسم ثنا سليمان عن ثابت عن أنس رضي اللَّه عنه قال: كان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يصلي في رمضان، فجئت فقمت إلى جنبه، وجاء رجل آخر فقام أيضًا حتى كنا رهطًا فلما حس النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم أنَّا خلفه جعل يتجوز في الصلاة، ثم دخل رحله فصلى صلاة لا يصليها عندنا، قلنا له حين أصبحنا: أفطنت لنا الليلة؟ فقال: «**نعم، ذلك الذي حملني على الذي سمعتم**». قال: فأخذ يواصل رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم وذلك في آخر الشهر، فأخذ رجال من أصحابه يواصلون فقال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «**ما بال رجال يواصلون، إنكم لستم مثلي أما واللَّه لو تمادَّ لي الشهر لواصلت وصالًا يدع المتعمقون تعمقهم**».

٣٠- قال الإمام مسلم رحمه اللَّه (٧٧٤/٢) رقم (١١٠٣):

حدثني زهير بن حرب وإسحاق قال زهير حدثنا جرير عن عمارة عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «**إياكم والوصال**»، قالوا: إنك تواصل يا رسول اللَّه، قال: «**إنكم لستم في ذلك مثلي إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني فاكلفوا من الأعمال ما تطيقون**».

وثنا قتيبة بن سعيد ثنا المغيرة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم بمثله غير أنه قال: «**فاكلفوا ما لكم به طاقة**».

٣١- قال الإمام أحمد رحمه اللَّه في «مسنده» (٣٥٠/٥):

ثنا إسماعيل ثنا عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه عن بريدة الأسلمي قال: خرجت ذات يوم لحاجة فإذا أنا بالنبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يمشي بين

يديَّ فأخذ بيدي، فانطلقنا نمشي جميعًا، فإذا نحن بين أيدَينا برجلٍ يصلي يكثر الركوع والسجود، فقال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «**أتراه يرائي؟**» فقلت: اللَّه ورسوله أعلم فترك يدي من يده، ثم جمع بين يديه فجعل يصوبها ويرفعها ويقول: «**عليكم هديًا قاصدًا، عليكم هديًا قاصدًا، عليكم هديًا قاصدًا، فإنه مَنْ يُشَادُّ هذا الدين يغلبه**».

٣٢- قال الإمام أحمد رحمه اللَّه تعالى (٧٠٣٨):

حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن ابن إسحاق حدثني أبو عبيدة بن محمد بن عمار ابن ياسر عن مقسم أبي القاسم مولى عبد اللَّه بن الحارث بن نوفل قال: خرجت أنا وتليد بن كلاب الليثي حتى أتينا عبد اللَّه بن عمرو بن العاص وهو يطوف بالبيت معلقًا نعليه بيده، فقلنا له: هل حضرت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم حين يكلمه التميمي يوم حنين؟ قال: نعم، أقبل رجل من بني تميم يقال له: ذو الخويصرة فوقف على رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم وهو يعطي الناس قال: يا محمد قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم، فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «**أجل فكيف رأيت؟**» قال: لم أرك عدلت قال: فغضب رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم، ثم قال: «**ويحك إن لم يكن العدل عندي فعند من يكون؟**»، فقال عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه: يا رسول اللَّه ألا نقتله؟ قال: «**لا، دعوه فإنه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية، ينظر في النصل فلا يوجد شيء، ثم في القدح فلا يوجد شيء، ثم في الفوق فلا يوجد شيء سبق الفرث والدم**».

- قال أبو عبد الرحمن (هو عبد اللَّه بن أحمد): أبو عبيدة هذا اسمه محمد: ثقة، وأخوه سلمة بن محمد بن عمار لم يرو عنه إلا علي بن زيد ولا نعلم خبره، ومقسم ليس به بأس.

هذا حديث حسن

اهـ من «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (ج١ ص٥٤٦).



من هم المغالون
أ- اليهود والنصارى

قال تعالى : ﴿وقالت اليهود عزير ابن اللَّه وقالت النصارى المسيح ابن اللَّه ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم اللَّه أنى يؤفكون * اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون اللَّه والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾ [التوبة : ٣٠ ، ٣١] .

وقال تعالى : ﴿لقد كفر الذين قالوا إن اللَّه هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا اللَّه ربي وربكم إنه من يشرك باللَّه فقد حرم اللَّه عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار * لقد كفر الذين قالوا إن اللَّه ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم * أفلا يتوبون إلى اللَّه ويستغفرونه واللَّه غفور رحيم * ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ [المائدة : ٧٢ - ٧٥] .

وقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « **لعن اللَّه اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد** » .

متفق عليه من حديث عائشة وأبي هريرة ، وهو عند البخاري أيضًا عن ابن عباس وقد تقدم برقم (٢١) من أدلة تحريم الغلو .

وقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « **لا تُطْروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فإنما أنا عبد اللَّه ورسوله** » .

رواه البخاري من حديث ابن عباس ، وقد مضى برقم (٩) في النهي عن الغلو ، والمعنى من الحديثين والآيات قبلهما ظاهر وهو أن اليهود والنصارى غلوا

في حبهم لعزير وعيسى حتى جعلوهما آلهة من دون اللَّه ، وكذلك فعلوا في أنبياء آخرين وفي أناس صالحين إذا مات أحدهم بنوا على قبره ، كما في حديث عائشة المتفق عليه فقال الرسول صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم في آخره : « **أولئك شرار الخلق عند اللَّه يوم القيامة** » ، وقد مضى برقم (٢٢) .

قال تعالى : ﴿ **ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان اللَّه فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون** ﴾ [الحديد : ٢٧] .

* * *

ب- عُبَّاد الأصنام

أما عُبَّاد الأصنام فقد كانوا يعظمون الحجارة وغيرها قال تعالى: ﴿**قال نوح رب إنهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارًا * ومكروا مكرًا كبَّارًا * وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودًّا ولا سواعًا ولا يغوث ويعوق ونسرًا * وقد أضلوا كثيرًا**﴾ [نوح: ٢١ - ٢٤].

وقال تعالى: ﴿**أجعل الآلهة إلهًا واحدًا إن هذا لشيء عجاب * وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد**﴾ [ص: ٥، ٦].

وقال تعالى: ﴿**وإن إلياس لمن المرسلين * إذ قال لقومه ألا تتقون * أتدعون بعلًا وتذرون أحسن الخالقين * اللَّه ربكم ورب آبائكم الأولين**﴾.

[الصافات: ١٢٣ - ١٢٦]

وقال فرعون: ﴿**أنا ربكم الأعلى**﴾ [النازعات: ٢٤]، فعظموه وجعلوه إلهًا من دون اللَّه. ﴿**وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري**﴾.

[القصص: ٣٨]

تنبيــه: هل بقي لعبادة الأصنام حَظٌّ في زماننا هذا؟

الجواب واللَّه أعلم: إن عبادة الأصنام كثيرة في زماننا هذا، وقد لا يتسع المجال لذكرها، فمن ذلك ما يفعله الصوفية من تمسح بالقبور ودعاء أهلها والنذر لهم وطلب السقيا إلى غير ذلك من الأمور التي لا تطلب من غير اللَّه، ونفس العلة التي تعلل بها المشركون يتعلل بها الصوفية في زماننا هذا: ﴿**ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى اللَّه زلفى**﴾ [الزمر: ٣].

ومن تلك الأصنام: قبر ابن علوان والشاذلي والهادي وأبي طير والبدوي وقبر رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم، ولقد رأيت وأنا في مدينة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم، في وقت الحج منكرات عظيمة ذاك يتمسح بالقبر وآخر بالمنبر وآخر يطوف بالقبر، وكما قال الشيخ قاسم محمد الفتيح [1] حفظه اللَّه في أبيات منها:

ولا أحد في القوم ينكر فعلهم ... ولا مسلم للَّه يرضى ويغضب
فوا أسفا ضلوا سبيل محمد ... وفي سبل الشيطان شبوا وشيبوا

ومن الذين يعبدهم الناس ولا زالوا أحياء: رجل يقال له: أحمد الدرسي يقيم في بلدنا (برع): تنذر له النذور وتقرب له القرابين ويذهب إليه بالمرضى من مناطق شتى بل ومن أرض الحرمين عجل اللَّه زواله وأمات ضلاله إن اللَّه عزيز ذو انتقام.

ومن عبادة الأصنام الموجودة في زماننا هذا: عبادة المال؛ فإنه قد أصبح المعيار في رفع الناس وانخفاضهم وأصبح صاحب المال هو الرجل لا غيره.

ورحم اللَّه من قال:

غير أني في زمان من يكن ... فيه ذا مال هو المولى الأجل
واجب عند الورى إكرامه ... وقليل المال فيهم يستقل

وقال البخاري رحمه اللَّه (ج٦ ص٨١):

ثنا يحيى بن يوسف أخبرنا أبو بكر عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال: «**تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة إن أعطي رضي وإن لم يُعْطَ لم يَرضَ**».

---

(١) قاسم بن محمد الفتيح البرعي: هو رجل صالح موحد دعا إلى التوحيد في وسط الظلمات فنفع اللَّه به كثيرًا، أصله سامعي من الحجرية، واستوطن برع رحمة اللَّه عليه، وهذان البيتان من قصيدة له يتكلم فيها على الدرسي المذكور بعد الأبيات.

ومن المعبودات الوثنية : اتخاذ قوانين وضعية استوردت من الشرق والغرب قال تعالى : ﴿ **أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به اللَّه** ﴾ .

[الشورى : ٢١]

وقال : ﴿ **أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من اللَّه حكمًا لقوم يوقنون** ﴾ .

[المائدة : ٥٠]

فمن حكم بغير شرع اللَّه راضيًا أو متناقصًا لشرع اللَّه أو يرى أن دين اللَّه غير صالح لزماننا هذا فهو كافر ، قال تعالى : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل اللَّه فأولئك هم الكافرون** ﴾ [المائدة : ٤٤] .

* * *



ج - الشيعة

وأما المغالون من أمة محمد فهم طوائف ضلوا عن سبيل الرشاد، منهم الشيعة، فإنهم قد غلوا في حب أهل البيت حتى تجاوزوا الحد في ذلك، ومنهم من كَفَّر الصحابة الكرام وأظهروا العداء للمسلمين لأنهم على زعمهم ناصبة، وإن منهم من هو على استعداد على التحالف مع أعداء الإسلام ضد المسلمين في سبيل ذلك؛ بل إنه مستعد على أن يكذب في سبيل ذلك، وقد كذبوا على رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم فألفوا الأحاديث ونسبوها إلى رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم مثل حديث: «أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأتِ الباب»[1]، وحديث: «علي خير البشر من أبى فقد كفر»، وما شابهها وكتب الموضوعات زاخرة بذلك، وأغلظ من ذلك وأفحش إذ أتوا بالطامة الكبرى؛ وذلك حين نسبوا التحريف إلى القرآن، وتناسوا قوله تعالى: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ [الحجر: ٩]، وهذا شيء لا شك فيه ولا مراء؛ فقد نقل إحسان إلهي في كتابه «الشيعة والسنة» الشيء الكثير من كتاب «الكافي» للكليني الذي هو عندهم بمثابة «البخاري» عندنا، ونقل أيضًا عن «تفسير القمي» وآخرين، وكلهم يثبتون تحريف القرآن، وأصرح من ذلك ما ألف بعض الإيرانيين كتابًا في ذلك سماه «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب»، وانظر الكلام على الكتاب وعلى المؤلف في «الخطوط العريضة» لمحب الدين الخطيب.

وعلماء الشيعة يقولون: ليس من القرآن في أيدي الناس إلا الثلث. نعوذ باللّٰه من الضلال، والكلام موجه إلى غلاة الرافضة، وأما شيعة اليمن فقد أصبحوا

(١) حديث «أنا مدينة العلم وعلي بابها»، ألف الشوكاني رسالة في بيان ضعف هذا الحديث وحققه أبو مصعب محمد بن صبحي حسن حلاق.

موتى خامدين، بل إن بعضهم قد شرد ابنه من يده وتخلى عن مذهبه، غير أنهم يُمَجِّدُون تلك الكتب ومؤلفيها ﴿**ومن يتولهم منكم فإنه منهم**﴾ [المائدة: ٥١].

ومن ضلالات غلاة الشيعة أنهم يجيزون الكذب في صالح المذهب كما قال الشافعي فيما نقله عنه الخطيب البغدادي رحمه اللَّه في «الكفاية» باب ما جاء في الأخذ عن أهل البدع والأهواء (ص١٩٤) قال الشافعي: وتُقْبل شهادة أهل الأهواء إلا الخَطَّابية من الرافضة؛ لأنهم يرون الشهادة بالزور لموافقيهم. اهـ.

والخطابية: نسبة إلى أبي الخطاب بن أبي زينب، وهم خمس فرق كلهم يزعمون أن الأئمة أنبياء محدثون ورسل اللَّه وحججه على خلقه لا يزال منهم رسولان: واحد ناطق والآخر صامت، فالناطق محمد صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم والصامت علي بن أبي طالب. اهـ المراد.

انظر الكلام على هذه الفرقة في كتاب «مقالات الإسلاميين» لأبي الحسن الأشعري (ص٧٦).

ولو نظرت إلى تراجم رجالهم تجد الألفاظ الرديئة والألقاب المستنكرة، كقولهم في بعضهم: زائغ، وأكذب الناس، وغير ذلك.

مثال ذلك: الحارث الأعور، قال ابن المديني: كذاب، وقال الشعبي: حدثني الحارث وأنا أشهد أنه أحد الكذابين، وعن أبي إسحاق قال: زعم الحارث الأعور - وكان كذابًا - اهـ من «الميزان».

ومثل الحارث بن أصبغ بن نباتة، كَذَّبه أبو بكر بن عياش، وقال النسائي وابن حبان: متروك، وكان يقول بالرجعة، ومثله جابر بن يزيد الجعفي؛ قال أبو حنيفة رحمه اللَّه: ما رأيت أكذب منه. اهـ كما في «الميزان» للذهبي.

ومثل هذا كثير، ولو توسعنا في ذكر تراجمهم لطال المقام، وإنما أردنا الاعتبار، وإن شئت راجعت ترجمة إسحاق بن محمد الأحمر وبيَّان بن سمعان والمغيرة بن سعيد تجد الكفر البواح والزندقة الواضحة.

وكما قلنا : إن من ضلالاتهم تكفيرهم لكثير من أصحاب رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم ولم يُبْقوا إلا النفر اليسير الذي لم يحكموا عليهم بالردة ، وإنا نسأل الشيعة : أرأيتم إذ كَفَّرتم أكثر أصحاب رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم من أين أخذتم دينكم ؟ فإن قالوا : من أولئك النفر اليسير قلنا لهم : إن هؤلاء النفر لم يرووا الدين كله ، فقد طعنتم فيمن روى الآلاف من الأحاديث كأبي هريرة وغيره ؛ بل في القرآن العظيم فإنهم نقلته إلينا .

وإنني إذا نظرت إلى مذهب التشيع يبدو لي أنها خطة كافرة من حيث يعلمون ومن حيث لا يعلمون ، بدأ بها عبد اللّٰه بن سبأ اليهودي يريد نقض الدين من جذوره بطريقة سلمية .

وأقول : خطة كافرة مستندًا إلى براهين وهي :

١- تحريف القرآن ، وقد تقدم الكلام عليه ، وهو أطم ما عندهم إذ لو حُرِّف القرآن فإنه سيصبح كدين اليهود والنصارى ، ولم يكتفوا بذلك بل :

٢- كَفَّروا أصحاب رسول اللّٰه أو أكثرهم على الأصح ، وقد تقدم الكلام عليه أيضًا ، وبتكفيرهم أولئك نقضوا جزءًا كبيرًا من الدين .

ولم تكتف الرافضة بذلك ؛ بل جاءوا بالداهية الدهماء التي ضربوا بها عصفورين بحجر فقالوا :

٣- خان جبريل الأمانة : كانت النبوة لعلي فأعطاها لمحمد والناس يسمعون الأذان من إذاعة إيران يقولون : (أشهد أن عليًا ولي اللّٰه) .

وبقولهم : خان جبريل الأمانة ؛ رموا عصفورين بحجر كما قلنا ؛ وذلك أنهم نفوا النبوة عن محمد إذ ليس محمد نبيًا على زعمهم ، ثم هو خائن أيضًا إذ أخذ ما ليس له ، فكيف نقبل من خائن ؟ نعوذ باللّٰه من الضلال .

وقد نسبوا بقولهم هذا ، الغفلة إلى اللّٰه سبحانه إذ لم يشعر بهذا كله طيلة مدة

الوحي ثلاث وعشرين سنة ، ولو حصلت لعِلْم مَلِكٍ من ملوك الأرض لكانت نقيصة في حقه ، فكيف بالله سبحانه أرأيتم قوله تعالى في سورة الفتح ﴿ **محمد رسول الله** ﴾ [الفتح : ٢٩] ، هل كانت (علي رسول الله) فغيرها جبريل ولم يشعر الله بذلك عياذًا بالله من ذلك .

وقد تكلم ابن حزم على هذا كلامًا شافيًا في « الفصل في الملل والنحل » (ج٤ ص١٨٤) فقال : وقولهم : إن محمدًا صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان أشبه بعلي من الغراب بالغراب ، وأن الله عز وجل بعث جبريل عليه السلام بالوحي إلى علي فغلط جبريل بمحمد ولا لوم على جبريل في ذلك لأنه غلط ، وقالت طائفة منهم : بل تَعَمَّد ذلك جبريل وكَفَّروه ولعنوه . (قال أبو محمد) : فهل سُمِعَ بأضعف عقولًا وأتم رقاعة [1] من قوم يقولون : إن محمدًا صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يشبه عليًّا رضي الله عنه ؟ فياللناس أين يقع شبه ابن أربعين سنة من صبي ابن إحدى عشرة سنة حتى يغلط به جبريل عليه السلام؟ ثم محمد عليه السلام فوق الربعة إلى الطول قويم القناة كث اللحية أدلج العينين ممتلئ الساقين صلى الله عليه وعلى آله وسلم قليل شعر الجسد أفرع [2] ، وعليٌّ دون الربعة إلى القصر منكب شديد الانكباب كأنه كُسِر ثم جبر عظيم اللحية قد ملئت صدره من منكب إلى منكب إذا التحى ثقيل العينين دقيق الساقين أصلع عظيم الصلع ليس في رأسه شعر إلا في مؤخره يسير ، كثير شعر اللحية ، فاعجبوا لحمق هذه الطبقة ، ثم لو جاز أن يغلط جبريل – وحاشا لروح القدس الأمين – كيف غفل الله عز وجل عن تقويمه وتنبيهه وتركه على غلطه ثلاثًا وعشرين سنة ؟ ثم أظرف من هذا كله : مَنْ أخبرهم بهذا الخبر ؟ ومن خَرَّفهم بهذه الخرافة ؟ وهذا لا يعرفه إلا من شاهد أمر الله تعالى لجبريل عليه السلام ، ثم شاهد بخلافه ، فعلى هؤلاء لعنة الله ولعنة اللاعنين ولعنة الناس أجمعين ما دام لله في عالمه خلق – اهـ كلامه رحمه الله .

---

(١) الرقاعة : الحمق . قال في « القاموس » (٢/٣٧٥/الترتيب) مادة : ر ق ع . وكأمير أحمق .
(٢) الفرع – بالفاء بالسكون – هو الشعر التام . كما في « القاموس » (٣/٤٧٦) .

٤- استعمل الشيعة التقية في دينهم وجعلوها أصلًا من أصولهم ومن لا تقية له لا دين له عندهم، أترى لماذا فعلوا ذلك؟

الجواب والله أعلم: أن لهم ضلالات لا يريدون أن يشعر الناس بها، ولو ظهرت لفضحتهم، فأتوا بالتقية وهي إظهار شيء وإبطان شيء غيره، وذلك عمل المنافقين.

هذه نبذة عن عقيدة الشيعة ونحن في معرض الاستشهاد لا معرض الرد فمن أراد المزيد فليرجع إلى كتاب ابن حزم «الفصل في الملل والنحل» (ج٤ ص١٧٩، ١٨٨) و«الفرق بين الفرق» وكتب إحسان إلهي وكتب شيخنا مقبل ابن هادي حفظه الله كـ «رياض الجنة» و«المخرج» و«إرشاد ذوي الفطن في إخراج غلاة الروافض من اليمن» و«الإلحاد الخميني في أرض الحرمين».

ثم إن هذه العقائد الفاسدة التي التصقت بها الشيعة لم تكن لله ولا لنصرة دين الله، وإنما تستر بحب أهل بيت النبوة، وحَمَلهم ذلك التعصب الذميم على أن يفعلوا ما فعلوا من تحريف للقرآن، وكذب على رسول الله، وتكفير أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وغير ذلك من العقائد الفاسدة حتى أصبحوا عارًا على المسلمين، وأصبحوا مُندَسًّا لأعداء الإسلام، وكان كل من أراد نقض شيء من الإسلام أو طعنًا فيه دخل في إحدى الطائفتين، إما الرفض، وإما التصوف، ثم يَدَّعون بعد ذلك حب أهل البيت، لا بارك الله في حب هذه صفته، والمسلمون مطالبون بالاعتدال في كل شيء قال تعالى: ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطًا**﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقد كنا قلنا: إن مذهب الشيعة خطة من أعداء الإسلام، وليست من عند الله، كان مبدؤها عبد الله بن سبأ اليهودي كما تقدم، وأستدل على ما قلت بقوله تعالى: ﴿**ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا**﴾ [النساء: ٨٢].

والشيعة قد افترقت إلى عشرات الفرق، وقد ذكرهم صاحب كتاب «التحفة الاثني عشرية»، فقسمهم إلى أكثر من ستين فرقة، وقد ذكر ابن حزم في كتابه «الفصل» فرقًا كثيرة وبيّن ضلالاتهم.

وقد شابه الشيعة اليهود والنصاري في أشياء منها :

١- اليهود والنصاري يعظمون عزيرًا والمسيح حتى جعلوهما إلهين ، وقد غلا الشيعة في علي حتى جعله غلاة الرافضة إلهًا .

٢- اليهود اتهموا مريم بنت عمران بالزنا ولم يقبلوا براءتها ، واتهمت الشيعة عائشة بالزنا ولم يقبلوا براءتها ، وقد أنزل اللّٰه براءة مريم وعائشة في كتابه الكريم .

٣- اليهود والنصاري حرفوا التوراة والإنجيل ، والشيعة أرادوا أن يحرفوا القرآن ونسبوه إلى التحريف .

٤- اليهود يستحلون أموال الناس ، ويقولون : نحن حزب اللّٰه المختار ، والشيعة تقول : الأرض كلها لنا ؛ لأنها مهر أمنا فاطمة على حد زعمهم ، ويعنون أن الرسول جعل الأرض مهرًا لفاطمة حين زوجها لعلي ، إلى غير ذلك من الأمور التي حصل فيها التشابه بين الشيعة واليهود والنصاري .

وختامًا أقول مخاطبًا للشيعة :

الكذب ملتكم وأصل طريقكم ... منذ الظهور لملة الرفضيةِ
انظر إلى الكتب التي قد ترجمت ... لرجالكم أم صرتم في رقدةِ
انظر إلى الميزان في الجعفي قد ... قالوا الكذوب بل الخبيث عقيدةِ
وانظر لعمرو بن شَمِرْ من بعده ... راو لجفرٍ يا لها من فريةِ
قد ردت الشهداء[1] من أصحابكم ... تبًا لكم يا معشر الرفضيةِ
نَصْبُ العداوة رمزكم وشعاركم ... وبَهَتُّمُ الصحب الكرام بردةِ
هذا ومن أوصافهم تبًا لهم ... تحريف قرآن بكل وقاحةِ
لكن على نهج الرسول طريقنا ... نسعى لنرجع عز أهل السنةِ
أم تنكرون بأن نهج طريقنا ... سار على نهج النبي بطيبةِ

(١) هو المعني بقول الشافعي المتقدم : تقبل شهادة أهل الأهواء إلا الخطابية من الرافضة فإنهم يرون الشهادة بالزور لموافقيهم .

حتى وإن صرتم إلى نكرانها ... فالحق يعلو رغم أنف الشيعةِ
والصالحون نحبهم لصلاحهم ... وخلافهم نبغض وتلك عقيدتي
أما علي فإن حبه واجب ... بل بغضه يا قومِ رأس بليةِ
فيما روى مسلم عن المختار أن ... البغض من سيما عداة الملة
فاللّٰه أسأل من لدنه مثوبة ... يحظى بها متمسك بالسنة

وقال هارون بن سعد العجلي كما في «تأويل مختلف الحديث» (٧١) :

ألم تر أن الرافضين تفرقوا ... فكلهم في جعفر قال منكرا
فطائفة قالوا إمام ومنهم ... طوائف سمته النبي المطهرا
ومن عجب لم أقضه جلد جفرهم ... برئت إلى الرحمن ممن تجفرا
برئت إلى الرحمن من كل رافضي ... بصير بباب الكفر في الدين أعورا
إذا كف أهل الحق عن بدعة مضى ... عليها وإن يمضوا على الحق قصرا
ولو قال إن الفيل ضب لصدقوا ... ولو قال زنجي تحول أحمرا
وأخلف من بول البعير فإنه ... إذا هو للإقبال وجه أدبرا
فقُبِّحَ من قوم رموه بفرية ... كما قال في عيسى الفرى من تنصرا

* * *

د - الصوفية

الفرقة الثانية من فرق الضلال : الصوفية وهي قرينة التشيع ، والشيعة والصوفية وصمة عار في تاريخ المسلمين ، ولسنا هنا نريد نقد مذهبهم وإنما سنضرب أمثلة على سوء عقيدتهم ، ومن ضلالهم أيضًا : تعظيمهم للبشر من أنبياء وصالحين بل وكَفَرةٍ ؛ فإن بعض الصوفية يكون فيهم الرجل يدعي الألوهية لنفسه أو لغيره ، ومع ذلك يلقبونه بالغوث الأعظم والقطب والوتد وغير ذلك من الألقاب التي لم يلقب بها أفاضل الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وحمزة وغيرهم رضي الله عنهم .

وخير الأمور السالفات على الهدى   وشر الأمور المحدثات البدائع

وإنا نرى الصوفية في ضلال عظيم ، ولكن لا نرى من يرد عليهم كما رد على الشيعة ، ولعل السبب في ذلك راجع لقلة عدد الصوفية[1] ورداءة مذهبهم من استذلال شيخ الطريقة للمريدين وغير ذلك ، ولكن الله سبحانه وتعالى يمهل ولا يهمل فسوف يقيض لهم طالب علم يقتلع مذهبهم من جذوره سهل الله بذلك .

وإنا نرى لهم زوابع في بلادنا يتطلعون ويشرئبون بأعناقهم كي ينظروا فنقول لهم : انظروا فإن النور قادم والزحف إليكم مستمر ، فإنا قد عزمنا على أن نشمر عن سواعدنا ونطلق لألسنتنا وأقلامنا العنان لكل من حاول أن يطل برأسه من أعداء السنة يريد تحطيمها .

ومن أولئك النفر : شيخ الطريقة محمد الهدار الذي هو مقيم في (رباطة)

---

(١) هكذا كنت أظن ، ثم ظهر لي أن الصوفية كثير عددهم ؛ بل هم أكثر انتشارًا من الشيعة ، ولكنهم أذلة ، ويغلب عليهم المجون لولوعهم بالمردان ، وعدم المبالاة بالاختلاط .

بالبيضاء وأنا لا أعرفه ، وقد عرفت رجلًا من أصحابه في المخا[1] كانوا قد شدوا الرحال لزيارة قبر الشاذلي ، وهو الحبيب عمر على حد زعمهم ، وكان من كلامه : (ليس في الكون إلا اللّٰه) وهذه عقيدة ابن عربي الملحد وابن الفارض الملحد ، وتسمى هذه بعقيدة وحدة الوجود ، ومعنى وحدة الوجود : أي أن كل شيء في الكون هو اللّٰه . نعوذ باللّٰه من الضلال .

ويقول قائلهم :

العبد رب والرب عبد يا ليت شعري من المكلف
إن قلت عبد فذاك حق أو قلت رب أَنَّى يكلف

ويقول آخر :

وما الكلب والخنزير إلا إلهنا وما اللّٰه إلا راهب في كنيسة

ويقول عبد الرحيم البرعي في ديوانه :

وأين يحل الابن منه ولم يكن مع اللّٰه غير اللّٰه عين وآثار

ويقول آخر :

يا من أنا أنت وأنت أنا أنا من أهوى وأنا أهوى أنا
نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرتنا أبصرته وإذا أبصرته أبصرتنا
أنا اللّٰه واللّٰه أنا

ومن خبثهم أنهم قد أصبحوا آلة للشيوعية ، فإنهم يتجسسون على الرجال الصالحين في عدن نصرة للشيوعية ، وليس ذلك بغريب عنهم فالصوفية والشيعة آلة لكل طاعن على الإسلام .

---

(١) (المخَا) بفتح الميم وفتح الخاء المعجمة ، قال في «القاموس» (٤/٢١٤) : بلدة بساحل بحر اليمن . اهـ .

قال ابن حزم رحمه اللَّه تعالى في كتابه « الفصل في الملل والنحل » (ج٤ ص٢٢٦) : ادعت طائفة من الصوفية أن في أولياء اللَّه تعالى من هو أفضل من جميع الأنبياء والرسل ، وقالوا : من بلغ الغاية القصوى من الولاية سقطت عنه الشرائع كلها من الصلاة والصيام وغير ذلك ، وحلت له المحرمات كلها من الزنا والخمر وغير ذلك ، واستباحوا بهذا نساء غيرهم ، وقالوا : إننا نرى اللَّه ونكلمه وكل ما قذف في نفوسنا فهو حق ، ورأيت لرجلٍ منهم يعرف بابن شمعون كلامًا نصُّه : أن للَّه تعالى مائة اسم ، وأن الموفي مائة هو ستة وثلاثون حرفًا ليس منها في حروف الهجاء شيء إلا واحد فقط ، وبذلك الواحد يصل أهل المقامات إلى الحق ، وقال أيضًا : أخبرني بعض من رُسِمَ لمجالسة الحق أنه مد رجله يومًا فنودي : ما هكذا مجالسة الملوك ، فلم يمد رجله بعدها ، يعني أنه كان قد رُسِمَ لمجالسة اللَّه سبحانه ، وقال أبو حاضر النصيبي من أهل نصيبين وأبو صالح السمرقندي وأصحابهما : إن الخلق لم يزالوا مع اللَّه تعالى ، وقال أبو صالح : لا تحل ذبائح أهل الكتاب ، وخَطَّأ فعل أبي بكر الصديق رضي اللَّه عنه في قتال أهل الردة ، وصوَّب قول الصحابة الذين رجعوا عنه في حربهم .

إلى أن قال رحمه اللَّه : واعلموا رحمكم اللَّه أن جميع فرق الضلال لم يجر اللَّه على أيديهم خيرًا ، ولا فتح بهم من بلاد الكفر قرية ، ولا رفع للإسلام راية ، وما زالوا يسعون في قلب نظام المسلمين ، ويفرقون كلمة المؤمنين ، ويسلون السيف على أهل الدين ، ويسعون في الأرض مفسدين .

وأما الخوارج والشيعة فأمرهم في هذا أشهر من أن يتكلف ذكره ، وما توصلت إليه الباطنية إلى كيد الإسلام وإخراج الضعفاء منه إلى الكفر إلا على ألسنة الشيعة ، وأما المرجئة فكذلك ، إلا أن الحارث بن سريج خرج بزعمه منكرًا للجور ، ثم لحق بالترك فقادهم إلى أرض الإسلام ، فنهب الديار وهتك الأستار ، والمعتزلة في سبيل ذلك إلا أنه ابتلي بتقليد بعضهم المعتصم والواثق جهلًا وظنًّا أنهم على شيء ، وكانت للمعتصم فتوحات محمودة كبابل والمازيار وغيرهم .

فاللَّه اللَّه أيها المسلمون تحفَّظوا بدينكم ، ونحن نجمع لكم بعون اللّه الكلام في ذلك : الزموا القرآن وسنة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم وما مضى عليه الصحابة رضي اللّه عنهم والتابعون وأصحاب الحديث عصرًا عصرًا الذين طلبوا الأثر فالزموا الأثر ، ودَعُوا كل محدثة فكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ، وباللَّه تعالى التوفيق - اهـ كلامه رحمهُ اللَّه .

* * *

هـ - المعطلة

أما المعطلة فهم الذين بالغوا في تنزيه اللّه سبحانه وتعالى عن أن يشبهوه بمخلوق حتى نفوا عنه ما أثبت لنفسه وما أثبته له رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم وهم طوائف :

منهم الجهمية والمعتزلة وبعض الأشعرية ، وتسرب مذهب الاعتزال إلى الشيعة حتى صار جزءًا لا يتجزأ من مذهبهم .

● **ذكر بعض الأمثلة من أسماء وصفات اللّه التي عطلوها :**

الاستواء : قالوا : هو الاستيلاء ، مستدلين بقول الشاعر :

قد استوى بشر على العراق

فالجواب : أنا لا ننكر فصاحة الشاعر وعربيته ، ولكن ننكر من استدل به لماذا جمد عليه دون النظر في غيره ؟ فإن عندنا قول شاعر آخر يفيد أن الاستواء هو الاستعلاء فقال :

فأوردتهم ماء بفيفاء قفرة إذ حَلَّقَ النجم اليماني فاستوى

فما لهم لا يوردون هذا البيت في اعتراضاتهم أم أنه ليس بعربي فصيح ﴿ **أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا** ﴾ [النور : ٥٠] ، هذا مع أن الأدلة في القرآن على علو اللّه أكثر من أن تحصر .

قال اللّه تعالى : ﴿ **يخافون ربهم من فوقهم** ﴾ [النحل : ٥٠] ، وقال : ﴿ **إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه** ﴾ [فاطر : ١٠] ، وقال : ﴿ **وهو القاهر فوق عباده** ﴾ [الأنعام : ١٨] ، وقال : ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ [طه : ٥] ، إلى غير ذلك من الأدلة .

قال ابن القيم رحمه اللّه في « النونية » (ج١ ص٣٩٦) مشروح :

ولقد أتى في عشر أبيات من الـ منقـول فـي فـوقـيـة الـرحـمـن
مع مثلها أيضًا يزيد بواحد ها نحن نسردها بلا كتمان
منها استواء الرب فوق العرش في سبعٍ أتت في محكم القرآن
وكذلك اطردت بلا لام ولو كانت بمعنى اللام في الأذهان
لأتت بها في موضع كي يحمل الـ باقي عليها بالبيان الثاني
ونظير ذا إضمارهم في موضع حملًا على المذكور في التبيان
لا يذكرون مع اطراد دون ذكـ ـر المضمر المحذوف دون بيان
بل في محل الحذف يكثر ذكره فإذا هم ألفوه إلف لسان
حذفوه تخفيفًا وإيجازًا فلا يخفى المراد به على الإنسان
هذا ومن عشرين وجهًا يبطل التفـ سير باستولى لذي العرفان
قد أفردت بمصنف لإمام هـ ـذا الشأن بحر العالم الحراني

ويعني رحمه اللّه بالعالم الحراني ابن تيمية رحمه اللّه.

ويرحم اللّه ابن القيم إذ يقول في كلام معناه: إن لام المعتزلة مثل نون اليهود إذ قيل لليهود قولوا حطة، فقالوا: حنطة، وقيل لهؤلاء: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ [طه: ٥]، فقالوا استولى.

وقال ابن تيمية رحمه اللّه في لاميته:

قبحًا لمن نبذ الكتاب وراءه وإذا استدل يقول قال الأخطل

المجيء: قال تعالى: ﴿**وجاء ربك**﴾ [الفجر: ٢٢]، قالوا أمر ربك.

وقال: ﴿**هل ينظرون إلا أن يأتيهم اللّه في ظل من الغمام والملائكة ..**﴾ الآية [البقرة: ٢١٠].

فأولوها أيضًا بمجيء الأمر ونريح أنفسنا من الرد عليهم فنقول: ﴿**هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين**﴾ [البقرة: ١١١]، فهل عندكم دليل على ما تقولون من أن المجيء في الآية المقصود به مجيء الأمر؟ فإن قالوا: قد جاء موضحًا في قوله تعالى: ﴿**هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر بك**﴾ [الأنعام: ١٥٨].

فالآية الأولى فيها إسناد المجيء إلى اللَّه ، وهذه إلى أمره فيحمل مجيء اللَّه على مجيء أمره .

فالجواب على ذلك : أن الآية التي ذكرتموها إنما فيها أن اللَّه سيأتيهم بالملائكة وبأمره بالعذاب عليهم كما يدل عليه السياق ، ولكن في الآية الأولى قد أسند المجيء إلى نفسه فاطمأنت قلوبنا على أن اللَّه يجيء مجيئًا يليق بجلاله سبحانه ﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾ [الشورى : ١١] .

النزول : كما في حديث نزول اللَّه في الثلث الأخير من الليل قالوا : إنما هو ملك مأمور بذلك ، وهذا باطل من وجهين :

أحدهما : أنه لا دليل لهم في ذلك إذ لو كان لهم دليل لذكروه .

الثاني : أن في الحديث أن اللَّه يقول : « **من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له ، من يدعوني فأستجيب له** » . فكيف يجوز لمخلوق أن يقول ذلك ، وقد أفرده شيخ الإسلام ابن تيمية بكتاب .

وهكذا فعلوا في صفات اللَّه سبحانه فأولوا الآيات الواضحات ونفوا صفات اللَّه سبحانه ، وحجتهم في ذلك : أن اللَّه أنزل القرآن بلغة العرب فإذا وصف نفسه بصفة ، فإنما يصف نفسه بشيء معروف لدى العرب ، ولا يمكن أن يخاطبهم اللَّه بألغاز وكلام لا يعرفونه .

فنقول : إن اللَّه سبحانه وتعالى قد جعل الضعف ملازمًا للناس أجمعين فقال : ﴿ **وخلق الإنسان ضعيفًا** ﴾ [النساء : ٢٨] ، فلا نستطيع بعقولنا القاصرة وأفهامنا الضيقة أن نعرف كيف وَجْه اللَّه ويَدُ اللَّه وعَيْن اللَّه .... إلخ صفات اللَّه سبحانه .

واللَّه سبحانه وتعالى يقول : ﴿ **ولا يحيطون به علمًا** ﴾ [طه : ١١٠] ، فصفات اللَّه معلومة ، وكيفيتها مجهولة ، والسؤال عنها بدعة ، والإيمان بها واجب ، كما قال الإمام مالك في الاستواء .

* * *

و - المجسمة

المجسمة بالغوا في إثبات صفات اللَّه سبحانه وتعالى حتى تجاوزوا الحد وخالفوا الآيات الواضحات كقوله تعالى : ﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾ [الشورى : ١١] ، وقوله : ﴿ **ولا يحيطون به علمًا** ﴾ [طه : ١١٠] ، فكيَّفوا اللَّه وشبَّهوه بالمخلوقين ، تعالى اللَّه عن ذلك علوًّا كبيرًا ، ومن هؤلاء المشبهين المجسمة : مقاتل بن سليمان ، وقد بدَّعه العلماء وأنكروا عليه .

* * *

ز - الخوارج

طائفة الخوارج هم الذين حاربوا عليًّا رضي اللَّه عنه بحجة أنه لم يمكنهم من السبي يوم الجمل، ولم يكتب نفسه أمير المؤمنين كما سيتبين إن شاء اللَّه.

وقد كان ابتداء أمرهم على عهد رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم.

قال البخاري رحمه اللَّه (ج٨ ص٦٧):

ثنا قتيبة ثنا عبد الواحد عن عمارة بن القعقاع بن شبرمة ثنا عبد الرحمن بن أبي نعم سمعت أبا سعيد الخدري يقول: بَعَث علي بن أبي طالب إلى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم من اليمن بذُهَيْبَةٍ في أديم مقروض لم تحصل من ترابها، قال: فقسمها بين أربعة: بين عيينة بن بدر وأقرع بن حابس وزيد الخيل والرابع إما علقمة وإما عامر بن الطفيل، فقال رجل من أصحابه: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء، فبلغ ذلك النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فقال: «**ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحًا ومساء؟**». قال: فقام رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناشز الجبهة كث اللحية محلوق الرأس مشمر الإزار فقال: يا رسول اللَّه اتق اللَّه، قال: «**ويلك أَوَلستُ أحق أهل الأرض أن يتقي اللَّه**»، قال: ثم ولى الرجل، قال خالد بن الوليد: يا رسول اللَّه ألا أضرب عنقه. قال: «**لا، لعله أن يكون يصلي**». فقال خالد: وكم من مُصَلٍّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه، قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «**إني لم أومر أن أنقب قلوب الناس ولا أشق بطونهم**». قال ثم نظر إليه وهو مُقَفٍّ فقال: «**إنه يخرج من ضئضئ هذا قوم يتلون كتاب اللَّه رطبًا لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**». وأظنه قال: «**لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود**».

ورواه مسلم (ج٢ ص٧٤١).

قوله: ضئضئ: قال في «النهاية»: الضئضئُ: الأصل، يقال: ضِئْضِئُ صدق، وضُؤْضُؤُ صدق، وحكي ضئضيء بوزن قنديل، يريد أنه يخرج من نسله وعقبه، ورواه بعضهم بالصاد المهملة وهو بمعناه. اهـ.

قال البغدادي في «الفرق بين الفرق» (ص٥٦): ذكر المحكمة منهم يقال للخوارج محكمة وشَرَاة، واختلفوا في أول من تشري منهم؛ فقيل: عروة بن حدير أخو مرادس الخارجي، وقيل: أولهم يزيد بن عاصم المحاذي، وقيل: رجل من ربيعة من بني يشكر كان مع علي بصفين فلما رأى اتفاق الفريقين على الحكمين استوى على فرسه وحمل على أصحاب معاوية وقتل منهم رجلًا، وحمل على أصحاب علي وقتل منهم رجلًا، ثم نادي بأعلى صوته: ألا إني قد خلعت عليًا ومعاوية وبرئت من حكمهما، ثم قاتل أصحاب علي حتى قتله قوم من همدان.

ثم إن الخوارج بعد رجوع علي من صفين إلى الكوفة انحازوا إلى حروراء وهم يومئذ اثنا عشر ألفًا، ولذلك سميت الخوارج حرورية، وزعيمهم يومئذ عبد اللَّه ابن كوا وشيث بن ربعي، وخرج عليهم علي وناظرهم ووضحت حجته عليهم فاستأمن إليه ابن الكوا مع عشرة من الفرسان، وانحاز الباقون منهم إلى النهروان، وأمَّروا على أنفسهم رجلين أحدهما عبد اللَّه بن وهب الراسبي، والآخر حرقوص ابن زهير البجلي العرني المعروف بذي الثدية.

والتقوا في طريقهم إلى النهروان برجل رأوه يهرب منهم فأحاطوا به، وقالوا له: من أنت؟ قال: أنا عبد اللَّه بن خباب بن الأرت، فقالوا: حدثنا حديثًا سمعته عن أبيك عن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فقال: سمعت أبي يقول: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «**ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي، فمن استطاع أن يكون فيها مقتولًا فلا يكونن قاتلًا**»، فشد عليه رجل من الخوارج يقال له مسمع ابن قدلي بسيفه فقتله فجرى دمه فوق ماء النهر كالشراك إلى الجانب الآخر، ثم

إنهم دخلوا منزله وكان في القرية التي قتلوه على بابها فقتلوا ولده وجاريته أم ولده ، ثم عسكروا بنهروان وانتهى خبرهم إلى علي رضي اللّه عنه فسار إليهم في أربعة آلاف من أصحابه وبين يديه عدي بن حاتم الطائي وهو يقول :

نسير إذا ما كاع قومٌ وبلدوا ... برايات صدق كالنسور الخوافق
إلى شر قوم من شراة تحزبوا ... وعادوا إله الناس رب المشارق
طغاة عماة مارقين عن الهدى ... وكل ينفي قوله غير صادق
وفينا علي ذو المعالي يقودنا ... إليهم جهارًا بالسيوف البوارق

فلما قرب علي منهم أرسل إليهم أن سلموا قاتل عبد اللّه بن خباب فأرسلوا إليه : أنا كلنا قتله ولئن ظفرنا بك قتلناك ، فأتاهم علي في جيشه وبرزوا إليه بجمعهم ، فقال لهم قبل القتال : ماذا نقمتم مني ؟ فقالوا له : أول ما نقمنا منك أنا قاتلنا بين يديك يوم الجمل ، فلما انهزم أصحاب الجمل أبحت لنا ما وجدنا في عسكرهم من المال ومنعتنا من سبي نسائهم وذراريهم ، فكيف استحللت مالهم دون النساء والذرية ؟ فقال : أبحت لكم أموالهم بدلًا عما كانوا أغاروا عليه من بيت مال البصرة قبل قدومي عليهم ، والنساء والذرية لم يقاتلونا وكان لهم حكم الإسلام بحكم دار الإسلام ، ولم يكن منهم ردة عن الإسلام ، ولا يجوز استرقاق من لم يكفر ، وبعد لو أبحت لكم النساء أيكم يأخذ عائشة في سهمه ؟ فخجل القوم من هذا .

ثم قالوا له : نقمنا عليك محو إمرة أمير المؤمنين على اسمك في الكتاب بينك وبين معاوية لما نازعك معاوية في ذلك ، قال : فعلت مثل ما فعل رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم يوم الحديبية حين قال له سهيل بن عمرو : لو علمتُ أنك رسول اللّه لما نازعتك ، ولكن اكتب باسمك واسم أبيك ، فكتب : (هذا ما صالح عليه محمد بن عبد اللّه وسهيل بن عمرو) وأخبرني رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم أن لي منهم يومًا مثل ذلك فكانت قصتي في هذا مع الأبناء

قصة رسول اللّٰه مع الآباء ، فقالوا له : فلم قلت للحكمين إن كنتُ أهلًا للخلافة فأثبتاني ؟ فإن كنت في شك من خلافتك فغيرك بالشك فيه أولى فقال : إنما أردت بذلك النصفة لمعاوية ، ولو قلت للحكمين : احكما لي بالخلافة لم يَرْضَ بذلك معاوية ، وقد دعا رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم نصارى نجران إلى المباهلة وقال لهم : ﴿ **تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة اللّٰه على الكاذبين** ﴾ [آل عمران : ٦١] ، فأنصفهم بذلك من نفسه ولو قال : أبتهل فأجعل لعنة اللّٰه عليكم لم يرضَ النصارى بذلك ، لذلك أنصفت أنا معاوية من نفسي ولم أدر غدر عمرو بن العاص .

قالوا : فَلِمَ حَكَّمت الحكمين في حق كان لك ؟ قال : وجدت رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم حَكَّم سعد بن معاذ في بني قريظة ولو شاء لم يفعل ، وأقمت أنا أيضًا حَكَمًا لكن حَكَم رسول اللّٰه حَكَم بالعدل ، وحَكَمِي خُدِع حتى كان من الأمر ما كان ، فهل عندكم شيء سوى هذا ؟ فسكت القوم وقال أكثرهم : صدق واللّٰه ...

وأكتفي بهذا القدر ، وإنما المقصود ليتبين غلوهم فيما سهل من الأمور وتشددهم فيها ، وفي الجانب الآخر يقتلون المسلمين قتلًا ذريعًا ؛ بل ذكر ابن حزم في « الفصل » أنهم يقتلون من قال : إنه مسلم ، ويتركون من قال : إنه يهودي أو نصراني ؛ فنعوذ باللّٰه من الضلال .

وفرقة الخوارج موجودة الآن في بعض البلاد الإسلامية ، ويسمون بجماعة التكفير ، وهم موجودون أيضًا في اليمن في الذياكي ناحية يريم ، ولم يأت التكفير إلى اليمن إلا من حين جاء المصريون والإباضيون منهم في دولة عُمان ، وهم يُكَفِّرون أصحاب المعاصي كحالق اللحية ومسبل الإزار ولابس الذهب والزاني وشارب الخمر وغيرهم من أهل المعاصي ، وإنما يسمون فساقًا لمخالفتهم النصوص الثابتة عن رسول اللّٰه ولا يُكَفَّر من أهل المعاصي إلا من تعاطاها مستحلًّا قال

تعالى : ﴿**ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على اللَّه الكذب إن الذين يفترون على اللَّه الكذب لا يفلحون**﴾ [النحل : ١١٦] .

والأسباب التي أوقعتهم في ذلك :

منها : فهم الأدلة على غير المراد منها كقوله تعالى : ﴿**ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين**﴾ [يس : ٦٠] ، فقالوا : إن طاعة الشيطان عبادة ، فمن أطاع الشيطان في شيء فقد عبده ، وهذا باطل ؛ إذ لو كان كما يقولون لما شرع اللَّه الحدود كجلد الزاني والشارب والقاذف ورجم الزاني وقتل القاتل ، ولكان الحكم عليهم أجمعين بالقتل لأنهم عبدوا غير اللَّه « **ومن بدل دينه فاقتلوه** » .

ومن ذلك : الأخذ بجانب من الأدلة وترك الجانب الآخر ، فجعلوا الفسق نوعًا فسمى اللَّه المنافقين فساقًا فقال : ﴿**إن المنافقين هم الفاسقون**﴾ [التوبة : ٦٧] ، ثم قال : ﴿**وعد اللَّه المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم**﴾ [التوبة : ٦٨] ، فجعل اللَّه سبحانه وتعالى المنافقين والكافرين في جهنم جميعًا ، وقد سمى المنافقين فاسقين ففهموا من ذلك أن الفاسق صاحب المعصية كافر ، وهذا باطل ؛ إذ الفسق في اللغة هو الخروج ، يقال : فسقت الفأرة إذا خرجت من جحرها ، وشرعًا : هو الخروج عن الطاعة ؛ فقد يكون الخروج عن الطاعة مخرجًا من دين الإسلام ، وقد يكون غير مخرج ؛ فالنظر يعود إلى أصل المعصية والنصوص ؛ فإن اقتضت النصوص تكفير صاحب تلك المعصية كفر ، وإن كانت النصوص تقتضي فسق صاحب المعصية حكم عليه به .

ثم إنه يجب على كل مسلم أن لا يقدم على أمر من أمور الدين حتى ينظر مَنْ سبقه من السلف الصالح ، وخاصة في مسألة التكفير فإنه بحكمه على مسلم بالكفر سيكون أحد أمرين لا ثالث لهما : إما أن يكون مصيبًا فيكون صاحبه كافرًا ، وإما أن يكون على غير ما قال فيكون مرتكبًا لكبيرة لأنه متأول .

قال البخاري رحمه اللّه (ج١٠ ص٥١٤):

ثنا إسماعيل ثني مالك عن عبد اللّه بن دينار عن عبد اللّه بن عمر رضي اللّه عنهما أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم قال: «**أيما رجل قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما**»، ورواه أيضًا عن أبي هريرة بمثله.

ومن الأسباب التي أوقعتهم في ذلك أيضًا: الجهل المستطير في المجتمعات إذ يجدهم الداعي إلى اللّه يقولون كما قال المشركون الأول: ﴿**إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون**﴾ [الزخرف: ٢٣]، فيكفرونهم بذلك لتشبههم بهم.

وكذلك أيضًا: الظلم العظيم الذي يجده الدعاة إلى اللّه من بعض حكام المسلمين فيكفرون الحكام لذلك، ويكفرون من لم يكفرهم بحجة من لم يكفر الكافر فقد كفر. وهذه القاعدة ليست على إطلاقها؛ بل المراد بها الذي لا يكفر من وَضُحَ كُفْرُه بالدليل الواضح وإلا فقد اختلف العلماء في تارك الصلاة أكافر هو أم لا.

* * *



ح - المقلـــدون

قد اخترت هذا الاسم ولم أقل التعصب المذهبي ليدخل كل مقلد في ضمنه، سواء للأئمة الأربعة أم لغيرهم، والتقليد في الدين من حيث هو لا يجوز لما سيأتي:

منبعـه: أول من جاء بالتقليد - فيما أعلم - المشركون حين كان يدعوهم أنبياؤهم للإسلام فيقولون: ﴿**إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون**﴾ [الزخرف: ٢٣]، وقال: ﴿**وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا**﴾ [المائدة: ١٠٤]، واليهود والنصارى قال تعالى: ﴿**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون**﴾ [التوبة: ٣١]، والآيات في هذا المعنى كثيرة معلومة.

حكمه: أما حكم التقليد فهو محرم، قال تعالى: ﴿**اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلًا ما تذكرون**﴾ [الأعراف: ٣]، فأوجب الله علينا أن نفرد الرسول بالاتباع فقط، وأما غير الرسول من صحابة وتابعين وعلماء وأئمة وغيرهم فإنما نأخذ من أقوالهم ما وافق الكتاب والسنة، وما نفهم به الكتاب والسنة، دون تعصب لإمام مخصوص، وقد كان الأئمة رضي الله عنهم لا يرتضون التقليد لأنفسهم، فهذا الشافعي يقول: إذا وافق قولي قول الرسول فخذوا به وما خالف فارموا به عرض الحائط، ويقول: إذا صح الحديث فهو مذهبي، أي: إذا قلت قولًا ظهر لي فيه أنه الحق ثم بعد ذلك وُجِدَ حديث صحيح مخالف لما قلت فقد رجعت عن قولي وصار قولي ومذهبي ذلك الحديث الصحيح، وكذلك جاء عن بقية الأئمة ما يشابه هذا، وقد ذكر الشيخ الألباني حفظه الله في مقدمة «صفة صلاة النبي» نبذة كبيرة من هذا.

ولكن المبتدعة لم يلتفتوا إلى هذه الأقوال ، بل أخذوا أقوال الأئمة في كل ما قالوه نصًّا يعمل به ويقتدى به وإليه المعول ، بل وربما تقول لأحدهم : قال اللّٰه كذا فيقول : قال الشافعي كذا ، وقال مالك كذا ، وقال أبو حنيفة كذا ، وقال زيد بن علي كذا . قال نشوان الحميري :

إذا جادلتُ بالقرآن خَصْمِي أجاب مجادلًا بكلام يحيى
فقلتُ كلام ربك عنه وحي أتجعلُ قولَ يحيى عنه وحيا

والمعني بيحيى في هذه الأبيات هو الهادي الذي أصبح قبره بصعدة وثنًا يعبد من دون اللّٰه ، وقال عبد اللّٰه بن إسماعيل الهروي :

أنا حنبلي ما حييت وإن أمت فوصيتي للناس أن يتحنبلوا

وقال محمد بن إبراهيم بن سعيد البوشنجي كما في « طبقات الشافعية » (ج٢ ص١٨٩) :

ومن شعب الإيمان حب شافع وفرض أكيد حبه لا تطوع
وإني حياتي شافعي وإن أمت فوصيتي بعدي أن تتشفعوا

وقال منذر بن سعيد :

عذيري من قوم يقولون كلما طلبت دليلًا هكذا قال مالكُ
فإن عدت قالوا هكذا قال أشهب وقد كان لا تخفى عليه المسالكُ
فإن زدت قالوا قال سحنون مثله ومن لم يقل ما قاله فهو آفكُ
فإن قلت قال اللّٰه ضجوا وأكثروا وقالوا جميعًا أنت قرن مماحكُ
وإن قلت قد قال الرسول فقولهم أتت مالكًا في ترك ذاك المسالكُ

وقال آخر :

ما الفرق بين مقلد في دينه راض بقائده الجهول الحائر
وبهيمة عمياء قاد زمامها أعمى على عوج الطريق الجائر

قال الشوكاني رحمه اللّٰه في « تفسيره » عند قوله تعالى من سورة الزخرف : ﴿ **قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة ..** ﴾ الآية [الزخرف : ٢٣] ، وهذا من أعظم الأدلة

الدالة على بطلان التقليد وقبحه، فإن هؤلاء المقلدة في الإسلام إنما يعملون بقول أسلافهم ويتبعون آثارهم ويقتدون بها، فإذا رام الداعي إلى الحق أن يخرجهم من ضلالة أو يدفعهم عن بدعة قد تمسكوا بها وورثوها عن أسلافهم بغير دليل نير ولا حجة واضحة بل بمجرد قال وقيل، شبهة داحضة وحجة زائفة ومقالة باطلة قالوا بما قاله المترفون من هذه الملل: ﴿**إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون**﴾ [الزخرف: ٢٣]، أو بما يلاقي معناه معنى ذلك، فإن قال لهم الداعي إلى الحق: قد جمعتنا الملة الإسلامية، وشملنا هذا الدين المحمدي، ولم يتعبدنا اللّٰه ولا تعبدكم وتعبد آباءكم من قبلكم إلا بكتابه الذي أنزله على رسوله وبما صح عن رسوله، فإنه المبين لكتاب اللّٰه الموضح لمعانيه الفارق بين محكمه ومتشابهه؛ فتعالوا نرد ما تنازعنا فيه إلى كتاب اللّٰه وسنة رسول اللّٰه كما أمرنا اللّٰه بذلك في كتابه بقوله: ﴿**فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى اللّٰه والرسول**﴾ [النساء: ٥٩]، فإن الرد إليهما أهدى لنا ولكم من الرد إلى ما قاله أسلافكم ودرج عليه آباؤكم نفروا نفور الوحوش، ورموا الداعي لهم إلى ذلك بكل حجر ومدر؛ كأنهم لم يسمعوا قول اللّٰه سبحانه: ﴿**إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى اللّٰه ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا**﴾ [النور: ٥١]، ولا قوله: ﴿**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليمًا**﴾ [النساء: ٦٥].

فإن قال لهم القائل: هذا العالم الذي تقتدون به وتتبعون أقواله هو مثلكم في كونه متعبدًا بكتاب اللّٰه وسنة رسوله، مطلوب منه ما هو مطلوب منكم، وإذا عمل برأيه عند عدم وجدانه للدليل فذلك رخصة له لا يحل أن يتبعه غيره عليها، ولا يجوز لهم العمل بها وقد وجدوا الدليل الذي لم يجده، وها أنا أوجدكموه في كتاب اللّٰه أو فيما صح من سنة رسوله، وذلك أهدى لكم مما وجدتم عليه آباءكم، قالوا: لا نعمل بهذا ولا سمع لك ولا طاعة، ووجدوا في صدورهم أعظم الحرج من حكم الكتاب والسنة ولم يسلموا لذلك ولا أذعنوا له، وقد

وهب لهم الشيطان عصا يتوكئون عليها عند أن يسمعوا من يدعوهم إلى الكتاب والسنة ، وهي أنهم يقولون : إن إمامنا الذي قلدناه واقتدينا به أعلم منك بكتاب الله وسنة رسول اللّه ، وذلك لأن أذهانهم قد تصورت من يقتدون به تصورًا عظيمًا بسبب تقدم العصر وكثرة الأتباع ، وما علموا أن هذا منقوض عليهم مدفوع به في وجوههم ، فإنه لو قيل : إن في التابعين من هو أعظم قدرًا وأقدم عصرًا من صاحبكم ، فإن كان لتقدم العصر وجلالة القدر مزية حتى توجب الاقتداء فتعالوا حتى أريكم من هو أقدم عصرًا وأجل قدرًا ، فإن أبيتم ذلك ففي الصحابة رضي اللّه عنهم من هو أعظم قدرًا من صاحبكم علمًا وفضلًا وجلالة وقدرًا ، فإن أبيتم ذلك فها أنا أدلكم على من هو أعظم قدرًا وأجل خطرًا وأكثر أتباعًا وأقدم عصرًا ، وهو محمد بن عبد اللّه نبينا ونبيكم ورسول اللّه إلينا وإليكم ، فتعالوا فهذه سنته موجودة في دفاتر الإسلام ودواوينه التي تلقتها جميع هذه الأمة قرنًا بعد قرن وعصرًا بعد عصر .

وهذا كتاب ربنا خالق الكل ورازق الكل وموجد الكل بين أظهرنا موجود في كل بيت وبيد كل مسلم لم يلحقه تغيير ولا تبديل ولا زيادة ولا نقص ولا تحريف ولا تصحيف ، ونحن وأنتم ممن يفهم ألفاظه ويتعقل معانيه فتعالوا لنأخذ الحق من معدنه ونشرب صفو الماء من منبعه فهو أهدى مما وجدتم عليه آباءكم ، قالوا : لا سمع ولا طاعة ، إما بلسان المقال أو بلسان الحال ، فتدبر هذا وتأمله إن بقي فيك بقية من إنصاف وشعبة من خير ومزعة من حياء وحصة من دين ، ولا حول ولا قوة إلا باللّه العلي العظيم ، وقد أوضحت هذا غاية الإيضاح في كتابي الذي سميته « أدب الطلب ومنتهي الأرب » فارجع إليه إن أردت أن تنجلي عنك ظلمات التعصب وتنقشع لك سحائب التقليد ، اهـ كلامه رحمه اللّه .

وحين تخلى الناس عن الدليل ومالوا إلى التقليد ثارت فيهم البغضاء ، ونصب بعضهم العداوة لبعض حتى عامل الحنفي الشافعي كما يعامل أهل الكتاب ،

فأجازوا للحنفي أن يتزوج بالشافعية ولا يجوز العكس[1]، وقد أحسن الزمخشري إذ قال في ذلك:

إذا سألوا عن مذهبي لم أبح به ... وأكتمه كتمانه لي أسلمُ
فإن حنفيًّا قلتُ قالوا بأنني ... أبيح الطلا وهو الشراب المحرمُ
وإن مالكيًّا قلتُ قالوا بأنني ... أبيح لهم أكل الكلاب وهُمْ هُمُ
وإن شافعيًّا قلت قالوا بأنني ... أبيح نكاح البنت والبنت تحرمُ
وإن حنبليًّا قلت قالوا بأنني ... ثقيل حلولي بغيض مجسمُ
وإن قلت من أهل الحديث وحزبه ... يقولون تيس ليس يدري ويفهمُ
تعجبت من هذا الزمان وأهله ... فما أحد من ألسن الناس يسلمُ
وأخرني دهري وقدم معشرًا ... على أنهم لا يعلمون وأعلمُ
ومذ أفلح الجهال أيقنت أنني ... أنا الميم والأيام أفلح أعلمُ

انظر «الكاشف» في ترجمته (ج٤ ص٢٤٨).

تنبيهان: الأول:

هذا الذي قاله عن المالكية والشافعية ليس عن الإمامين، وإنما هو عن بعض أتباعهما، وأما ما قاله في الإمام أحمد فهو غير صحيح، وإنما ذلك كلام أهل الباطل؛ فالشيعة يقولون عن السني: ناصبي، والناصبة يقولون عن السني: رافضي، ولذا قال الشافعي:

إن كان رفضًا حب آل محمد ... فليشهد الثقلان أني رافضي

والمجسم يقول عن السني: معطل، والمعطل يقول عن السني: مجسم، وغير

---

(١) هناك من يلتبس عليه فهم التقليد فيقتنع بأمر معين أنه جائز، فإذا خالفته حسب ما ترى من الدليل والبرهان، وكان قولك موافقًا لقول عالم من العلماء وصمك بالتقليد لذلك العالم، ولن تتخلص من هذه التهمة إلا إذا خالفت ذلك الشيخ راميًا باقتناعك عرض الحائط، ومع هذا لن تتخلص من التقليد في نظره بتركك قول ذلك الشيخ مقتنعًا بقول ثالث يخالف قول ذلك الرجل، ويخالف قول الشيخ، فسيظل التقليد معلقًا بعنقك حتى تتبعه هو وهذا إرهاب فكري - إن صح التعبير - وهو داعٍ إلى تقليد نفسه، فالله المستعان.

ذلك مما يطلقه أهل الباطل، والسني بريء من ذلك كله.

وأما ما قاله في شأن أهل الحديث، فهذه تهمة قديمة أرادوا بذلك انتقاص أهل الحديث كما قال قائلهم:

زوامل للأخبار لا فقه عندهم ... وما علمهم إلا كعلم الأباعر
لعمرك ما يدري المطي إذا غدا ... بأحماله أو راح ما في الدفاتر

فكان أعداء أصحاب الحديث قديمًا يتهمون أهل السنة بأنهم ليس لهم فقه لتلك الأحاديث التي يروونها، وقد كان الشانئون لأهل الحديث عند بعضهم اشتغال بالفقه، أما المعاصرون الذين يعادون السنة فليس عند أكثرهم فقه ولا حديث، ورغبوا أن يذموا أهل السنة فقالوا عنهم: إنهم جاهلون بالواقع، وجاهلون بالسياسة، ويرون أنفسهم أنهم هو علماء الواقع وعلماء السياسة وفرحوا بهذا اللقب ينتقصون به أهل السنة، حتى أصبح هذا الكلام علمًا على أعداء السنة وأداة للطعن في أهل السنة، ثم أي واقعٍ يعنون؟ إن كانوا يعنون معرفة أسماء الدول وعواصمها وموضعها الجغرافي ومعرفة رؤسائها فلا يهمنا عرفناه أم لم نعرفه، وإن كنت تعني بالواقع مخططات أعداء الإسلام وما يكيدون به الإسلام، فاعلم أن مخططاتهم منها ما قد نفذوه، وذلك مثل فساد وسائل الإعلام والبرلمانات والديمقراطية والتعددية وغير ذلك، ومن مخططاتهم ما لم ينفذوه فلا نعرفه نحن ولا أنتم، وإن عرفنا بعضه فلا نستطيع أن نحول بينهم وبين تنفيذه.

أما الأول فالجميع يعرفه فهو مشاع مذاع وليست المشكلة أن نعرفه أو نجهله، وإنما المشكلة في كيفية المعالجة، فهل قدَّمتم له علاجًا؟ وإن كنتم كما زعمتم علماء بالواقع وأهل السنة علماء بالشريعة، فهل استفتيتم علماء الشريعة أم احتقرتموهم وازدريتموهم؟ وأنتم متناقضون لعدم تقيدكم بالشرع فأنتم تعادون الاشتراكي وتنسقون مع البعثيين والناصريين وكلهم اشتراكيون.

وطالما أفرحتم اليمنيين أنكم صوتم ضد تجنيد المرأة في اليمن، وتؤيدون السودان وهم يجندون النساء، وغير ذلك من التناقضات، بل من نظر إليكم يا مَنْ تدعون فقه الواقع وجد أنكم من أكثر الناس انخراطًا في مخططات أعداء اللَّه، ومن أكثر الواقعين في الغزو الفكري تنفذونه وتدافعون عنه.

ثم إن الكتاب والسنة بهما نعرف الواقع وبهما نعالجه في كل زمان ومكان.

ثم أعود فأقول: إن أعداء السنة يلمزون السلفيين بالألقاب الرديئة في كل عصر، وكلما بليت كلمة جاءوا بأخرى، واللَّه حسبنا ونعم الوكيل.

التنبيه الثاني:

يظهر مما تقدم أن الغلو مجاوزة الحد إما في فهم النصوص، أو مجاوزة الحد في إثبات الصفات إلى حد التجسيم، أو المجاوزة للحد في التنزيه حتى يصل إلى التعطيل أو الغلو في الأشخاص حتى يعبدوا من دون اللَّه، ويدخل في ذلك من جعل المباح مستحبًا بدون دليل، أو جعل المباح والمستحب واجبًا، وكذا من جعل المباح مكروهًا بدون دليل أو جعل المباح والمكروه محرمًا.

* * *

ط - الإخوان المسلمون

كنا نرى أن أشد الأمة تعصبًا هم الشيعة والأحناف، وقد تقدم ذكر بعض ماغَلَوْا فيه، لكنك تجد أن الإخوان المسلمين قد شابهوا الشيعة والحنفية في الغلو، بل بعضهم إخواني وهو حنفي أو شيعي فيجمع بين التعصبين والعياذ بالله، وتعصبهم تعصب مقيت لا يُحسدون عليه ولا يحمدون عليه، ولو التمس أحد عذرًا لأهل المذاهب في تقليدهم وتعصبهم لأئمتهم فقال: إنهم اتبعوا أئمة علماء أجلاء من أهل القرون المفضلة، أما هؤلاء فإنما يتبعون أناسًا ما عرفوا بالعلم، غاية ما عندهم الحماس للدين مع أنه قد يكون جاهلًا أو مبتدعًا، كما هو الحال في قادة الإخوان المسلمين، فإن غالبهم أهل عقائد منحرفة.

أقول: لو قال قائل ذلك مدافعًا عن أصحاب المذاهب لكان كلامه قويًا إلا أنه ليس مبررًا للتقليد، وأدلة الاتباع حجة عليهم وغلوهم كثير وأكثر ما يغالون فيه ثلاثة أمور:

(١) غلوهم في تعظيم منهجهم.

(٢) غلوهم في تعظيم أشخاصهم.

(٣) غلوهم في بغض أهل السنة.

١- غلوهم في تعظيم منهجهم:

فيقول الله تعالى: ﴿**اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلًا ما تذكرون**﴾ [الأعراف: ٣].

ويقول: ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر**﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقال سبحانه: ﴿**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليمًا**﴾ [النساء: ٦٥].

إلى غير ذلك من الآيات في وجوب اتباع الكتاب والسنة.

وفي الحديث الصحيح يقول الخطيب بين يدي النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: من يطع اللَّه ورسوله فقد رشد، إن هذه الأدلة تبين تحتم اتباع الكتاب والسنة لكل فرد من الناس وتدل أيضًا على أن الرشد في اتباع الكتاب والسنة، بل إن الهداية في اتباع الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿**إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم**﴾ [الإسراء: ٩] يهدي للتي هي أقوم في منهج الدعوة، يهدي للتي هي أقوم في التربية، يهدي للتي هي أقوم في التعليم، يهدي للتي هي أقوم في الاجتماع، يهدي للتي هي أقوم في الاقتصاد، يهدي للتي هي أقوم في السياسة الداخلية والخارجية، وفي كل الأمور يهدي للتي هي أقوم.

فإن قال قائل: إن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول: «**أنتم أعرف بأمور دنياكم**»، قلنا له: هذا في الأمور الدنيوية التي لا تصطدم بنص.

طاعة اللَّه وطاعة رسوله فيها الفوز والفلاح، قال تعالى: ﴿**إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى اللَّه ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون * ومن يطع اللَّه ورسوله ويخشى اللَّه ويتقه فأولئك هم الفائزون**﴾.
[النور: ٥١، ٥٢]

إن موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام حين تأزم حالهما مع فرعون رفعا أيديهما إلى اللَّه فقال موسى: ﴿**ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالًا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم**﴾ [يونس: ٨٨].

قال لهم اللَّه: ﴿**قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون**﴾ [يونس: ٨٩].

فأمرهما بالاستقامة ليتكفل سبحانه وتعالى بإهلاك عدوهم.

هذه الأدلة ذكرتها في وجوب اتباع الكتاب والسنة على سبيل الذكرى، وإلا فأدلة الاتباع لا تحصى، ذكرتها لأننا نريد أن يستقر في أذهان إخواننا أن الميزان هو الكتاب والسنة بهما يوزن الناس قربًا وبعدًا وحبًا وبغضًا، من عمل بهما أحببناه بمقدار عمله الصالح، ومن أعرض عنهما أبغضناه بمقدار ما فيه من الإعراض أو العصيان، وليعلم أيضًا أن المنهج خاضع لشرع اللَّه، ومتى وجدنا المنهج مخالفًا لشرع اللَّه في مسألة ما أو في وقت ما لا يدفعنا فيه حب المنهج واحترام المنهج عن أن نبين الحق، أو أن نحدد موقفنا من تلك المسألة، باختصار يجب أن ندور مع كتاب اللَّه وسنة رسوله صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم حيث دارا قولًا وعملًا لا تأخذنا في ذلك لومة لائم.

هذا الذي يجب، لكن واقع الإخوان المسلمين غير هذا، فالرفعة عندهم لمن تمسك بالمنهج وإن كان من أجهل الناس، أو من أبعد الناس عن التمسك بالسنة، والبعد كل البعد لمن لم يستقم على المنهج، وإن كان من أعبد الناس وأتقاهم.

وأقول لمن تشكك في هذا الكلام: التفت إلى داخل جماعة الإخوان المسلمين، وانظر بإمعانٍ: ألا ترى أناسًا قياديين في جماعة الإخوان وهم من أبعد الناس عن منهج السلف؟ ويوجد فيهم أناس لديهم صحة في العقيدة لكنهم ليس لهم الصدارة؟ فهذا دليل على أن العبرة في المنهج وبمقداره يرفع الناس ويوضعون.

وذكر الأخ محمد بن سيف العجمي في كتابه «وقفات مع كتاب للدعاة فقط» (ص٩٦) كلامًا خطيرًا قال فيه: يقول أيضًا الأخ جاسم في كتابه (ص١٢٢) ما نصه: بل دعوة الإخوان ترفض أن يكون في صفوفها أي شخص ينفر من التقيد بخططهم ونظامهم، ولو كان أروع الدعاة فهمًا للإسلام وعقيدته وأنظمته، وأكثرهم قراءة للكتب ومن أشد المسلمين حماسة وأخشعهم في

الصلاة، والإخوان لا يالون بهم وهم بهذه المزايا إلا أن يتقيدوا بخطط الجماعة والسعي لإقامة أهدافها وهي إقامة دولة الإسلام اهـ.

فأقول: يا سبحان اللَّه ما هذا التنظيم الذي يرفض أهل هذه الأوصاف؟ وهل يعقل أن مَنْ كانت هذه صفته يقف أمام إقامة دولة الإسلام سدًّا منيعًا؟

ولعله ظهر بهذا عدم اعترافهم بأي شخص يخالف ذلك المنهاج المخترع، وعرف أيضًا أن المنهاج هو الميزان في تقويم الناس وحبهم وبغضهم وقربهم وبعدهم ليس العلم ولا الفضل ولا العبادة، وفي حديث أنس المتفق عليه قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون اللَّه ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا للَّه، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه اللَّه منه كما يكره أن يقذف في النار**». فجعل النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم حلاوة الإيمان متعلقة بهذه الثلاث المسائل، فمن وجدت فيه هذه الثلاث كلها وجد حلاوة الإيمان، ومن وجدت فيه واحدة أو اثنتان دون الثالثة لا يجد تلك الحلاوة، ثم إنه بَيَّن أن حب الأشخاص لا يكون إيمانًا إلا إذا كان للَّه، فمتى كان حب الأشخاص لغير اللَّه إما لمذهبٍ أو فكرةٍ أو أي طريق آخر فإنه لا يأتي بحلاوة الإيمان، بل إنه جالب للإثم، موجب لغضب اللَّه تعالى، ومن مصائب الحب والبغض في الفكرة أو المذهب أنه يفرق بين المسلمين، بحيث يصبح أصحاب الأحزاب متنكرين لغيرهم من المسلمين، ناظرين إليهم بعين الاحتقار، لا لأنهم عصوا اللَّه فقد يكونون صالحين، وإنما لكونهم غير منضمين إلى حزبهم وجماعتهم.

ثم أي منهج لديهم يفرحون به ويغالون في حبه ونصرته؟ إنهم يسعون لبناء مجتمعات تتصف بأدنى صفات الإسلام، وأقل ما يسمى به الإنسان مسلمًا، أُفٍّ لمنهج هذا حاله، وما حالهم إلا كما قيل:

إذا طمح الناس للمكرمات   فطرفهم المطرق الناعس

هم بعيدون عن التحقيق العلمي لجميع مسائل الدين تقريبًا ، وأي مسألة تعرض لأحدهم فيكتفي بأنه قد أفتى بها بعض أهل العلم ، وكأن اختلافهم مبرر لعدم البحث والتحري ، وهم بعيدون عن الورع إذ يرتكب أحدهم الأمر الذي فيه مخالفة وقد زلت قدم عالم ما فأباحه سواء كان ذلك العالم من المتقدمين أو من المتأخرين دون نظر في دليله وهل أصاب أم لا ؟ وكأن فتواه منجية لهم بين يدي الله عز وجل .

فإن قال قائل : وأنتم أليس عندكم غلو في منهجكم ؟ ألستم تحكمون بالبدعة وبالضلال أحيانًا على من خالفكم بل ربما كفرتموه ؟

فالجواب : إننا نسير حسب نصوص من كتاب الله وسنة رسوله لا بعقولنا وأهوائنا ، ومنهج أهل السنة لم يخترعه شخص ، ولم تقترحه طائفة ، وإنما هو وحي أوحاه الله إلى نبيه محمدٍ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ولا يستطيع أحد أن يثبت على أهل السنة أنهم يحكمون على أحد بحكم لا يستحقه .

٢- غلو الإخوان المسلمين في أشخاصهم :

أهل السنة يعتقدون أن العلماء يصيبون ويخطئون ، ويعلمون ويجهلون ، ويذكرون وينسون ، ويقوى إيمانهم ويضعف ، وبناء على ذلك فهم يعلمون منزلة العلماء وفضلهم التي وهبهم الله إياها ، ولا يمنعهم ذلك من أن يعرضوا أقوال العلماء على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيأخذون ما وافقهما ويدعون ما خالفهما ، سواء كان ذلك العالم شافعيًا أو حنبليًا أو مالكيًا أو حنفيًا أو غير ذلك من المذاهب المتقدمة والمتأخرة ، فهم ينظرون إلى الحق لا ينظرون إلى الرجال ، فبالحق يعرفون قرب الرجل وبعده ، وبالحق يحبون الرجل ويبغضونه بمقدار قربه وبعده منه ، لكن الإخوان المسلمين بضد ذلك تمامًا ؛ فهم أناس من جملة المسلمين لكنهم ينظرون إلى أنفسهم على أنهم هم المسلمون الحقيقيون وغيرهم ليس كذلك ، ولا يعترفون لغيرهم من العلماء بعلم ولا بفضلٍ ؛

فربما رفعوا رجلًا جاهلًا في جماعتهم ولقبوه بالألقاب الرفيعة المستوى ، وأما الذي ليس في جماعتهم عالمًا كان أم جاهلًا فليس له حق في شيء مما تقدم .

وإليك مثالًا من غلوهم : من المعروف أن حسن البنا رحمه اللَّه تعالى رجلٌ داعية ، ظاهر عليه الإخلاص لكن من قرأ في كتابه « المذكرات » عرف أنه ليس عنده من العلوم الشرعية مثل ما عند أحمد شاكر مثلًا أو محب الدين الخطيب وغيرهم ممن عاصره ؛ بل ولا أقل من ذلك ، فالواجب أن ينزل الرجل منزلته فهو رجل صاحب نشاط وغيرة على دين اللَّه وصاحب عزيمة قوية يستفاد من خبراته ويكون بجانب العلماء يوجهونه إلى الصواب ولا يقرر شيئًا إلا بعد عرضه عليهم ، فلو فعل ذلك لاستفيد منه كثيرًا ، ولست ناسيًا أن حسن البنا صوفي ومبايع على الطريقة الحصافية ، وأنه كان يطوف بالقبر كما في كتاب « حوار هادئ مع إخواني » ، ولم يذهب عن ذهني أن حسن البنا هو الذي سن في المسلمين تعدد الجماعات فكان سببًا في الفرقة ، وعنده غير ذلك لكنني أقول : لو لازم أولئك العلماء لذهب عنه ذلك كله بإذن اللَّه .

لكن الإخوان المسلمين لم يعترفوا بهذا ولا يعترفون به ، بل يرون أن هذا أشد من الطعن في سنة رسول اللَّه ، فلو أن رجلًا يسب أبا بكر وعمر وغيرهما من الصحابة لكنه يعترف لحسن البنا بأنه مجدد ؛ لقالوا هذا رجل من أبناء الصحوة الإسلامية ، ولو أن رجلًا تقيًا ورعًا لا يقول في حسن البنا بأنه مجدد فالويل له من ألسنتهم اللاذعة ؛ بل هو عندهم من أهل الفرقة والخلاف ممن يبلبل أفكار المسلمين ؛ بل ربما اتهموه بالجاسوسية .

قال سعيد حوى في كتابه « المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين » (ص١٧٩) : إن نقطة البداية في الثقة المطلقة بالإسلام ترجع إلى الثقة بشخص الرسول صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ونقطة البداية في الثقة المطلقة بدعوة الإخوان المسلمين ترجع إلى الثقة بشخص حسن البنا رحمه اللَّه ، ولقد أخذنا هذه الثقة ورضعناها

عمن هم أمثال الجبال في الثقة منهم شيخنا محمد الحامد رحمه اللَّه الذي كان يعتبر حسن البنا مجدد القرون السبعة الماضية وليس مجددًا لقرن واحد .

ثم نقل سعيد حوى كلام محمد الحامد (ص١٨١) فقال : كتب الشيخ محمد الحامد رحمه اللَّه : إن المسلمين لم يروا مثل حسن البنا منذ مئات السنين .... إلخ كلامه اهـ .

وأقول متعقبًا على ما تقدم : قد ثبت عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم أنه أخبر أن اللَّه يبعث على رأس كل مائة سنة مَنْ يجدد لهذه الأمة أمر دينها ، وسعيد حوى يقول إنه مجدد سبعة قرون يعني من عهد ابن تيمية ، يا سبحان اللَّه نسيت الشوكاني والصنعاني وابن الوزير ؟! ونسيت محمد بن عبد الوهاب الذي قلب الدنيا رأسًا على عقب على أعداء التوحيد في الجزيرة بعد أن كانت وثنية ، قدر على أن يقيم دولة قائمة على التوحيد بإذن اللَّه ، ولا يزال أثر دعوة التوحيد باقيًا في كل بلدة وصلت إليها دعوته رحمه اللَّه ، أليس مجددًا لذلك القرن ؟

ولكن أقول : يا سعيد إنك ما نسيت محمد بن عبد الوهاب ، وإنما أنت لا تعترف بالتجديد لأنك تعتقد أشياء أخرى ؛ فقد قال محمد بن سيف العجمي في كتابه « وقفات » عن سعيد حوى إنه صوفي رفاعي وأنه يقول : إن الرجل من أتباع الرفاعي يضرب بالشيش (السيف) في صدره حتى يخرج من ظهره ولا يؤثر فيه ، وتلك كرامة للسيد الرفاعي لأنه من أتباع الرفاعي ، فكيف يعترف سعيد لمحمد بن عبد الوهاب أو غيره من علماء أهل السنة بفضل أو بعلم أو بتجديد ؟!

ويقول سعيد حوى أيضًا في أول كتابه « المدخل إلى جماعة الإخوان المسلمين » : إننا ندعو الناس إلى أن يلتزموا بنا . اهـ .

ثم قال بعد قليل : لماذ نصر أن يلتزم الناس بنا . اهـ .

فانظر كيف رفع أشخاصهم حتى جعلهم العصمة ، واللَّه عز وجل يقول : ﴿ **ومن يعتصم باللَّه فقد هدي إلى صراطٍ مستقيم** ﴾ [آل عمران : ١٠١] ولم يقل :

ومن يعتصم بفلان أو فلان ، ويقول : ﴿**اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون**﴾ [الأعراف : ٣] .

إن الواجب أن يربط الناس بالله عز وجل وبرسوله الكريم فيعبدون الله عز وجل على وفق شرع الله ، وتلك هي النجاة ، وبحمد الله عز وجل أنك لن تجد سنيًّا يدعو الناس ليلتزموا به أو بغيره سواء في ذلك المتقدمون أو المتأخرون .

٣- غلوهم في بغض أهل السنة :

فنحن نراهم ما تركوا ضالًّا ولا مبتدعًا إلا وقد فتحوا صدورهم له كائنًا مَنْ كان ، ولو كان يعتقد أن للكون مدبرين غير الله ، أو كان قاطع صلاة ؛ بل إنهم يتحالفون مع الأحزاب العلمانية مع بقائها على كفرها ، ثم يخطبون الخطب في مدح تلك الأحزاب بأنهم يعترفون أن الإسلام عقيدة وشريعة وما شابه ذلك من هذه الترهات ولا حول ولا قوة إلا بالله ، مع أنهم في الجانب الآخر لا يمدون إلى أهل السنة يدًا إلا أن تكون يدًا طاعنة في أعراضهم ، فكثير هذا مع أننا قد دعوناهم للتعاون عدة مرات ولم يستجيبوا لذلك ولدينا براهين على ذلك .

فإن قالوا : نحن نتحالف مع الأحزاب العلمانية في أمور سياسية ولستم حزبًا سياسيًّا حتى نعقد معكم حلفًا .

فنقول : إننا مشتركون معكم في الدعوة إلى الله فَلِمَ لا يكون بيننا وبينكم تعاون في جهة الدعوة والتعليم فنعلمكم ونعلم شبابكم ، فأنتم ليس لديكم علماء في الحقيقة ، وإن كان لديكم علماء في نظركم فهم في الحقيقة ليسوا كما تحسبون ، والدليل على ذلك أن تسمي عالمًا من علمائكم ثم تذكر لي عددًا من طلابه الذين تخرجوا علماء من تحت يده . ما حصل شيء من هذا ، ثم لو وجد عالم من العلماء في جماعتكم ، فأنا أسأل سؤالًا آخر : هل تَعلَّم حتى صار عالمًا وهو داخل الجماعة أم تلقى العلم وهو خارج الجماعة ؟ مما لا شك فيه أن كل من كان لديكم وهو متعلم فهو متلقي للعلم من خارج الجماعة لا من داخلها ، بل إن

من كان علمه في مجال الكتاب والسنة فيكون مشايخه في الغالب من أهل السنة .

وأقبح من ذلك أن الرجل يتبعهم وهو على علم يضيع علمه وينساه وينسى عقيدته فلا يدعو إليها ، وكم تخرج من الجامعة الإسلامية ثم التحقوا بالإخوان ، فأين ذهبوا وأين ذهب علمهم وأين دعوتهم؟ كل واحد شغلوه بوظيفة فنسي ما عنده .

فأقول : كان يمكن أن نلتقي على الأقل في مجال العلم والدعوة ، كان ينبغي أن تعاملوا أهل السنة كما عاملتم الصوفية القبوريين ، أما هذا الواقع الذي نشاهده من بغضكم لأهل السنة فلا أجد له تفسيرًا غير الغلو في بغضهم والتنفير عنهم ، ونحيطكم علمًا أننا لا نبالي بمن أبغضنا إن عرفنا أننا قد أرضينا ربنا تبارك وتعالى ، ونحن سائرون في دعوتنا على بركة اللّه بالجهد القليل والبركة الإلهية .

وأحيطكم علمًا أن دعوة أهل السنة تنتشر انتشارًا كبيرًا حتى أصبحنا متعجبين من إقبال الناس على سنة رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم ، حتى أصبحنا لا نستطيع أن نُعَلِّم الذين قد هداهم اللّه ، بل لا نستطيع أن نزور كل قرية أو مسجد يرغبون في أن نزورهم. والحمد للّه لم يؤثر بغضكم لأهل السنة شيئًا إلا أننا نقول لكم : اتقوا اللّه في شباب المسلمين الذين خدعتموهم بالسراب وشغلتموهم بالأناشيد والتمثيليات حتى نزعتم من صدورهم حب التمسك بالكتاب والسنة وبغضتم إليهم العلم النافع ، نحن نحذركم عقوبة اللّه في الدنيا والآخرة وإننا نرى أن خذلانكم وفشلكم في تلك العشرات من السنين ولم يتحقق لكم شيء من النصر جزء من عقوبة اللّه العاجلة .

فنحن نحذركم من بغض أهل السنة خشية عليكم ، أما دعوة اللّه فما حالكم وحالها إلا كما قال الشاعر :

يا أيها الناطح الجبل العالي ليوهنه   أشفق على الرأس لا تشفق على الجبل

وليس كلامنا هذا صادرًا عن هوى فقد ضربت لك الأمثلة في تنسيقهم مع العلمانيين كالبعثيين والناصريين في اليمن ، وحزب الوفد العلماني وحزب العمل الاشتراكي في مصر ، وكالتقريب بين السنة والشيعة التي هي فكرة حسن البنا ولا تزال باقية إلى الآن ، كما دعت إلى ذلك مجلة النور هنا في اليمن في أحد أعدادها في هذا العام (١٤١٦هـ) ، وكذلك حملتهم على أهل السنة حين كسروا قبر العيدروس بعدن ، وقد كان قائد تلك الحملة على أهل السنة عبد اللَّه صعتر الذي اتهم المحطمين للقبور بالاشتراكية ، وغالب القرشي الذي هو وزير الأوقاف ، وقد لقي الشيخ مقبل عبدَ المجيد الزنداني وقال له : إن كلام أصحابك ليس كلام مسلمين ، فَرُدَّ عليهم فوافق الزنداني الشيخ مقبلًا على أن كلامهم كلام غير مسلمين ، ومع ذلك لم نسمع له ردًّا عليهم ، وكذلك أخذهم المساجد من أيدي أهل السنة مستغلين مركزهم ، لأن الأوقاف بأيديهم ، وما حصل منهم في (كنر) وقتل الشيخ جميل الرحمن ، وقتل أحد إخواننا وجرح آخر في تعز في بيت اللَّه وغير ذلك ، واللَّه حسبنا ونعم الوكيل .

* * *



ليس المتمسك بالسنة متشددًا

هذا الفصل هو أهم الفصول، وهو سبب تأليف الكتاب، وهو انتصار للمتمسكين بدينهم الذي قد اضطهدوا من أعداء الإسلام ومن أتباعهم ومن علماء السوء ومن جهال المسلمين.

فأقول: حين ابتعد الناس عن كتاب ربهم وسنة نبيهم أصبحوا لا يميزون بين المتبع والمبتدع، وأنى لهم التمييز وفاقد الشيء لا يعطيه؟ بل إن العامة من المسلمين في هذا الزمان قاموا بحرب شعواء ضد الدعاة إلى الله، فقاموا ضدهم بشتى التهم، وأعداء الإسلام وعلماء السوء ينمقون لهم العبارات ضد الدعاة إلى الله، فحينًا وهابية، وحينًا ناصبة، وحينًا رجعيون ومتطرفون ومتشددون إلى غير ذلك من العبارات المستوردة من الشرق والغرب.

ولكن ما دمنا نعلم أنا لم نَحِدْ عن سنة رسول الله فلا نبالي، فلَكَمْ أُوذي الأنبياء والصالحون من بعدهم، فذاك إبراهيم يلقى به في النار حيًا وليس له ذنب سوى الدعوة إلى التوحيد، وقال تعالى: ﴿**قتل أصحاب الأخدود * النار ذات الوقود * إذ هم عليها قعود * وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود * وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد**﴾ [البروج: ٤ - ٨]، ثم إن الله سبحانه وتعالى طالبنا بالاستقامة على دينه فقال تعالى: ﴿**فاستقم كما أمرت ومن تاب معك**﴾.

[هود: ١١٢]

وقال: ﴿**فاستقيموا إليه واستغفروه**﴾ [فصلت: ٦]، والمستقيم ليس متشددًا، والذين يرمون الدعاة إلى الله بالتشدد لا يعنون بالمتشدد إلا المستقيم المتمسك بالكتاب والسنة من حيث يعلمون ومن حيث لا يعلمون، ويبدو ذلك ظاهرًا من

خلال ضربهم للأمثلة ، وسنذكر بعضها إن شاء اللَّه لبعض الكُتَّاب العصريين المتشدقين بالدعاة إلى اللَّه مثل الغزالي في بعض كتاباته .

وتوجيه التهم ضد الدعاة إلى اللَّه يعتبر علمًا من أعلام النبوة كما في حديث أبي هريرة : « **قبل الساعة سنوات خداعة يُصَدَّقُ فيها الكاذب ويُكَذَّب فيها الصادق ويُؤْتَمَنُ فيها الخائن ويُخَوَّنُ فيها الأمين وينطق فيها الرويبضة** » ، قيل : وما الرويبضة يا رسول اللَّه ؟ قال : « **السفيه يتكلم في أمر العامة** » .

رواه أحمد وسنده حسن وروي من حديث أنس نحوه .

وقد قرأت للغزالي كتاب « هموم داعية » فرأيت من تشدقه بالمتمسكين بالكتاب والسنة الشيء الكثير وسأذكر بعضها إن شاء اللَّه ، وبعد اطلاعي على الكتاب تبين لي أن الكتاب ينبغي أن يقلب اسمه إلى (هجوم طاغية) إذ هو كذلك .

قال الغزالي في مقدمة هذا الكتاب : (وإن الدعاة العاملين في الميدان التقليدي يجب أن يغربلوا لنعدم السقط وننفي الغلط) .

وأقول : نعم نحتاج إلى غربلة للدعاة إلى اللَّه ، وغربالنا كتاب اللَّه وسنة رسوله ، وستكونَ من أول الساقطين ، وسيعرف ذلك عندما نعرض كلامك على الكتاب والسنة .

قال الغزالي (ص٢٨ من كتاب « هموم داعية ») : روى أبو داود والنسائي عن الفضل بن العباس قال : زارنا النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم في بادية لنا ولنا كليبة وحمارة ، فصلى بنا العصر وهما بين يديه فلم يزجرا ولم يؤخرا .. وظاهر من هذه الأحاديث صحة الصلاة في الأحوال التي وصفتها ، ومع ذلك فقد روى مسلم أن الصلاة من غير سترة يقطعها الكلب الأسود والمرأة والحمار ، وأن الكلب الأسود شيطان ، وقد استنكرت عائشة هذا الكلام واستغربته ، وذكرت ما يرده ، وأغلب الأئمة أن الصلاة لا يقطعها شيء ، وهم يتجاوزون

حديث مسلم، ولا يأخذون به، وهناك مَنْ أخذ به وبنى عليه مذهبه، وقال لي أحدهم: إن السيدة عائشة لم تكن مارة بين يدي المصلي حتى تبطل صلاته، فقلت ضاحكًا: مرور المرأة أمام المصلي يبطل صلاته، ونومها أمامه لا يبطلها؟ والأمر عندي أهون من أن تثار حوله معركة، ولكن الذي رفضته أن يتصدى أحد أولئك المبطلين لعلم الأحياء ويهاجم مقرراته ليقول: إن الكلب الأسود شيطان وليس كلبًا كبقية بني جنسه، وقلت: حديث رفض العمل به جمهور الفقهاء ولم يروه البخاري وهو يعالج الموضوع ندخل به معركة ضد العلم باسم الإسلام والمسلمين، إن التعصب المستغرب لوجهة نظر فرعية لا يبلغ هذا الشطط، ولكن للأسف مسلك ملحوظ على عدد ممن يشتغلون بأحاديث الآحاد.

قلت: أما الحديث الذي استدل به وهو حديث الفضل فهو ضعيف وله ثلاث علل، سنذكر السند ثم نبين العلل:

قال أبو داود رحمه الله (ج١ ص٤٥٩):

ثنا عبد الملك بن شعيب بن الليث حدثني أبي عن جدي عن يحيى بن أيوب عن محمد بن عمر بن علي عن عباس بن عبيد الله بن عباس عن الفضل به.

ورواه النسائي (ج٢ ص٦٥).

العلة الأولى: محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب لم يوثقه غير ابن حبان.

العلة الثانية: شيخه عباس لم يوثقه غير ابن حبان أيضًا.

العلة الثالثة: ما قاله ابن حزم في «المحلى» (ج٤ ص١٣) بعد ذكر الحديث قال رحمه الله: هذا باطل لأن العباس بن عبيد الله لم يدرك عمه الفضل. اهـ.

ونقل المزي هذا في «التهذيب»، ثم قال ابن حجر: وهو كما قال. اهـ.

فالحديث ضعيف كما ترى، فكيف يعارض حديثٌ ضعيف حديثًا صحيحًا؟ ولكن نلتمس له العذر بأنه ليس من أهل الصنعة، وهكذا يحصل لمن تدخل في

غير علمه ، ولو احتج بحجة الجمهور الآتية لكان أولى به ، ولعله لا يعرفها[1] ، والعجيب أن يطعن في أحاديث الآحاد ويستدل بضعيف .

أما مسألة مرور المرأة من أمام المصلي وكونها تقطع الصلاة أم لا تقطع فهي مسألة خلافية : هل تبطل الصلاة بذلك أم ينقص أجرها : قولان لأهل العلم ، والجمهور على عدم البطلان ، وحملوا حديث عائشة على ذلك استدلالًا بحديث « **لا يقطع الصلاة شيء** » ؛ فبما أن المسألة خلافية ، والتقليد منبوذ ، فعلى كل مسلم أن يفعل الذي يرى أنه يقربه إلى اللَّه دون أن يعيب الآخرين أو يضحك منهم أو يستهزئ بهم .

ثم ما وجه الإنكار على القائل : إن الكلب الأسود شيطان ، وأي عيب في قوله ، ألم يقله رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ؟ أم غلب الحقد فنسيت أن الرسول قاله ؟ والعجب العجاب أنه قال : إن الحديث رده الجمهور ورفضوا العمل به ولم يحصل من ذلك شيء ، وإنما تأول الجمهور معنى الحديث مع تسليمهم بصحة الحديث ، وكونهم تأولوه لا يقتضي رده أو عدم الصحة ثم قال عن الحديث : (لم يروه البخاري) ، قلت : وهل هناك طعن في « صحيح مسلم » ولا تقبل روايته إلا إذا تابعه البخاري ؟ ثم من قال هذا من أهل العلم المعتبرين ؟ وإن كنت لا تقبل إلا الذي رواه البخاري ، فلماذا تنقل من « سنن أبي داود » مستشهدًا ؟ وليست هذه المصيبة فقط ، وإنما المصيبة أيضًا أن يصدر هذا الكلام ممن هو عند العامة عالم فلا حول ولا قوة إلا باللَّه ، ورحم اللَّه امرأً عرف قدر نفسه ، والظاهر أن المعتمد ليس على البخاري وإنما على محمد الغزالي ، وإلا فقد رددت حديث أنس « **لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه** » .

---

(١) هكذا قلت ، والظاهر أنه يعرف الحق ، ولكن غلب عليه الحقد الدفين ، فتفجرت ينابيعه النتنة ، فلجأ إلى التلبيس والتدليس والسخرية والعياذ باللَّه .

وقد رواه البخاري، وكذا حديث عبد اللَّه بن عمر في غزوة بني المصطلق أن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم أغار على بني المصطلق وهم غارون. وهو متفق عليه.

وقال في آخر الكلام: إن هذا مسلك ملحوظ على عدد ممن يشتغلون بحديث الآحاد. وسيأتي الكلام على هذا قريبًا إن شاء اللَّه.

وقال (ص٢٩): روى أحدهم حديث «**ما أسفل من الكعبين من الإزار فهو في النار**». ثم حكم على الألوف المؤلفة من عباد اللَّه أنهم من أهل جهنم، قلت له: إسبال الإزار كبر ورذيلة، وقد كان في الجاهلية الأولى إشارة إلى الرياسة والملك، وقصة الأمير جبلة بن الأيهم معروفة، أما طول الإزار حتى الكعبين أو دونهما قليلًا لستر الجسم وتجميله دون اغترار ولا استكبار فهو لا يدخل النار، فأبي المتحدث أن يستمع إلى شرحي وعدني من علماء السوء الخارجين على السنة، ونظرت إليه وهو كميش الثوب بالغ الاعتداد برأيه، وقلت له: إن كان الكبر بطر الحق وغمط الناس كما عرَّفه الرسول الكريم فأنت متكبر ولو ارتديت ثوبًا إلى الركبتين. اهـ.

وأقول: مسألة إسبال الإزار الأمر فيها وضح وجلي، فإن الرسول صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم سمى الإسبال مخيلة.

قال أبو داود رحمه اللَّه (ج٤ ص٣٤٤):

ثنا مسدد ثنا يحيى عن أبي غفار ثنا أبو تميمة الهجيمي - اسمه طريف بن مجالد - عن أبي جري جابر بن سليم قال: رأيت رجلًا يصدر الناس عن رأيه لا يقول شيئًا إلا صدروا عنه قلت: من هذا؟. قالوا: هذا رسول اللَّه. قلت: عليك السلام يا رسول اللَّه مرتين قال: «**لا تقل عليك السلام فإن عليك السلام تحية الميت قل السلام عليك**»، قال قلت: أنت رسول اللَّه؟ قال: «**أنا رسول اللَّه الذي إذا أصابك[1] ضر فدعوته كشفه عنك، وإن أصابتك سنة فدعوته أنبتها**

---

(١) قوله: إذا أصابك .. إلخ. الضمير فيه راجع إلى اللَّه في قوله: «**أنا رسول اللَّه**». كما هو معروف أن الضمير يعود إلى أقرب مسمى.

لك ، وإذا كنت بأرضٍ قفر أو فلاة فضلت راحلتك فدعوته ردها عليك » . قال قلت : اعهد إلي . قال : « **لا تسبن أحدًا** » . قال : فما سببت بعده حرًا ولا عبدًا ولا بعيرًا ولا شاة ، قال : « **ولا تحقرن شيئًا من المعروف وأن تُكَلم أخاك وأنت منبسط إليه وجهك إن ذلك من المعروف ، وارفع إزارك إلى نصف الساقين فإن أبيت فإلى الكعبين ، وإياك وإسبال الإزار فإنها من المخيلة ، وإن اللَّه لا يحب المخيلة ، وإن امرؤ شتمك وعيرك بما يعلم فيك فلا تعيره بما تعلم فيه فإنما وبال ذلك عليه** » .

الحديث سنده حسن فإن أبا غفار واسمه مثنى بن سعيد أو ابن سعد حسن الحديث وبقية رجاله ثقات .

شاهدنا من الحديث قوله : « **إياك وإسبال الإزار فإنه من المخيلة** » . فقد حكم رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم على إسبال الإزار من حيث هو بنية أو بغير نية بأنه من المخيلة واللَّه لا يحب المخيلة ، وأما حديث أبي بكر في قوله : إن إزاري يسترخي . قال : « **إنك لست ممن يجره خيلاء** » . فليس فيه حجة للمستدلين به على أن الإسبال ليس مخيلة إلا إذا اقترنت به نية وأكثر من يستدل به كثير من مشايخ الأزهر الذي أصبح عَلمًا عليهم ، بل الغالب أنه إذا رأيت رجلًا مسبلًا إزاره حالقًا للحيته وعليه عمامة ، فالغالب عليه أنه أزهري فقد أصبح حلق اللحى والإسبال كما قلنا عَلمًا على كثير من الأزهريين هدانا اللَّه وإياهم .

وأما نفي استدلالهم بهذا الحديث فنقول : ذاك أبو بكر قد برأه رسول اللَّه فمن يبرؤكم؟ ثم إذا كانت ليست خاصة بأبي بكر وهو رأي بعض الناس فيكون للذي يتعهد إزاره وهو يسترخي وكلما استرخى رفعه ، وليس للذي يشترط الطول عند الشراء ، أو يرى أنه من الزينة أو ستر الجسم ، نعوذ باللَّه من سوء الحال .

وأختم الكلام على إسبال الإزار بحديث ابن عمر :

قال الإمام أحمد رحمه اللَّه (ج١ ص١٤١) :

ثنا محمد بن عبد الرحمن الطفاوي ثنا أيوب عن زيد بن أسلم عن ابن عمر

قال : دخلت على النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم وعلي إزار يقعقع فقال : « **من هذا؟** » . قلت : عبد اللَّه . قال : « **إن كنت عبد اللَّه فارفع إزارك** » . فرفعت إزاري إلى نصف الساقين فلم يزل إزرته حتى مات .

حديث صحيح رجاله كلهم ثقات وله طريق أخرى عند أحمد أيضًا . قال : حدثنا عبد الرزاق أنا معمر عن زيد بن أسلم سمعت ابن عمر به .

قال الشيخ الألباني حفظه اللَّه في « السلسلة » (ج٤ ص٩٥) حديث (١٥٦٨) بعد ذكره للحديث : وفي الحديث دلالة ظاهرة على أنه يجب على المسلم أن لا يطيل إزاره إلى ما دون الكعبين ، بل يرفعه إلى ما فوقهما ولو كان لا يقصد الخيلاء ، ففيه رد واضح على بعض المشايخ الذين يطيلون جببهم حتى تكاد أن تمس الأرض ، ويزعمون أنهم لا يفعلون ذلك خيلاء ، فهلا تركوه اتباعًا لأمر رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم بذلك لابن عمر أم هم أصفى قلبًا من ابن عمر ؟ اهـ .

ثم قال الغزالي بعد كلامه المتقدم ذكره ونقده : ورأيت نفرًا من هؤلاء يغشون المجامع مذكرين بحديث أن أبوي الرسول صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم في النار وشعرت بالاشمئزاز مِن استطالتهم وسوء خلقهم قالوا لي : كأنك تعترض ما نقول . قلت : ساخرًا هناك حديث آخر يقول : ما كنا معذبين حتى نبعث رسولًا ، فاختاروا أحد الحديثين ، قال أذكاهم بعد هنيهة : هذه آية لا حديث . قلت : نعم . جعلتها حديثًا لتلتهوا بها فأنتم قلما تفقهون الكتاب . قال : كانت هناك رسالات قبل البعثة والعرب من قوم إبراهيم وهم متعبدون بدينه قلت : العرب لا من قوم نوح ولا من قوم إبراهيم ، وقد قال اللَّه تعالى في الذين بعث فيهم سيد المرسلين ﴿**وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا قبلك من نذير**﴾ [سبأ : ٤٤] ، وقال لنبيه الخاتم : ﴿**وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قومًا ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون**﴾ [القصص : ٤٦] .

كل الرسالات السابقة محلية مؤقتة وإبراهيم وموسى وعيسى كانوا لأقوامهم خاصة، وللفقهاء كلام في أن أبوي الرسول في النار يردون به ما تروون، لقد أحرجتم الضمير الإسلامي حتى جعلتموه ليستريح يروي أن اللّٰه أحيا الأبوين الكريمين فآمنا بابنهما، وهي رواية ينقصها السند كما أن روايتكم ينقصها الفقه، ولا أدري ما تعشقكم لتعذيب أبوين كريمين لأشرف الخلق.

وأقول: كلامه في موضوعين:

الأول: حكم أهل الفترات.

والثاني: الحكم على أبوي النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم بمقرهما إما الجنة وإما النار.

● **حكم أهل الفترات:**

ذِكْر الآيات الواردة في أن اللّٰه سبحانه لا يعذب إلا بعد إنذار:

قال تعالى: ﴿**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولًا**﴾ [الإسراء: ١٥]، وقال: ﴿**رسلًا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على اللّٰه حجة بعد الرسل**﴾ [النساء: ١٦٥]، وقال: ﴿**ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولًا فنتبع آياتك ....**﴾ الآية [طه: ١٣٤]، وقال: ﴿**ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون**﴾ [الأنعام: ١٣١].

وقد أخبر اللّٰه سبحانه عن أهل الفترات أنه لم يرسل إليهم برسول قال تعالى: ﴿**لتنذر قومًا ما أُنذر آباؤهم**﴾ [يس: ٦]، وقال: ﴿**أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قومًا ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون**﴾ [السجدة: ٣]، وقال: ﴿**وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قومًا ما أتاهم من نذير من قبلك**﴾ [القصص: ٤٦]، وقال: ﴿**وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير**﴾ [سبأ: ٤٤].

فاخْتُلف حول هذه المسألة على أقوال قد فَصَّل فيها القول الشنقيطي في «دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب» في سورة الإسراء ملخصها : أن أهل الفترة معذورون بالآيات المتقدمة ، ولحديث الأربعة الذين يختبرون ، ومن خُصَّ بالدليل أنه من أهل النار فهو من أهل النار ، ومن لم يَرِدْ فيه دليل على أنه من أهل الجنة ولا من أهل النار ، فهو إلى اللَّه حين يختبره فإن شاء أنجاه وإن شاء أهلكه ، وأما قول من قال : إنهم أدركوا بقايا من الملل السابقة ، فهذا قول لا دليل عليه فيما نعلم؛ بل الأدلة تنصب على أنهم لم يأتهم نذير.

أما الأمر الثاني : وهو الحكم في والدي رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم وهل هما من أهل الجنة أم من أهل النار؟ وهل أحياهما اللَّه فأسلما أم لا ؟

الجواب : على هذا أن والدي رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ماتا كافرين ولم يبعثهما اللَّه سبحانه وتعالى ولم يؤمنا باللَّه ، بل قد استأذن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ربه في أن يستغفر لوالدته فلم يأذن له اللَّه بذلك ، قال تعالى : ﴿**ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم**﴾ [التوبة : ١١٣].

قال الإمام مسلم رحمه اللَّه (ج٢ ص٦٧١) :

حدثنا يحيى بن أيوب ومحمد بن عباد (واللفظ ليحيى) قالا ثنا مروان بن معاوية عن يزيد (يعني ابن كيسان) عن أبي حازم عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : «**استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي**» . ورواه أبو داود (ج٣ ص٥٥٧) .

قال الإمام مسلم رحمه اللَّه (ج١ ص١٩١) :

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عفان ثنا حماد عن ثابت عن أنس أن رجلًا قال : يا رسول اللَّه أين أبي ؟ قال : «**في النار**» ، فلما قفى دعاه فقال : «**إن أبي وأباك في النار**» .

ورواه أبو داود (ج٥ ص٩٠).

هكذا وردت الأحاديث بتكفير أبوي رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم، ولا تُعارض أحاديث صحيحة إلا بمثلها، وأما حديث أن اللّٰه أحيا أبوي رسول اللّٰه فأسلما فهو غير صحيح.

قال ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: ﴿**وما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ...**﴾ الآية [التوبة: ١١٣]، بعد أن ذكر قصة غريبة في أن النبي صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم نزل بعسفان... القصة بطولها ثم قال: وأغرب منه وأشد نكارة ما رواه الخطيب البغدادي في كتاب «السابق واللاحق» بسند مجهول عن عائشة في حديث فيه قصة أن اللّٰه أحيا أمه فآمنت ثم عادت.

وكذا ما رواه السهيلي في «الروض» بسند فيه جماعة مجهولون: أن اللّٰه أحيا أباه وأمه فآمنا به. وقد قال الحافظ ابن دحية: هذا الحديث موضوع يرده القرآن والإجماع. اهـ كلامه رحمه اللّٰه.

وأعود إلى الغزالي فأقول: إنه لمن أبرز الأدلة على أنك لست من أهل الحديث قولك عند استدلالك بالحديث: وهي رواية ينقصها السند كما أن روايتكم ينقصها الفقه، وإنه لعجب أن ترد أحاديث صحيحة بحديث ضعيف، وأعجب من ذلك وأطم أن تستدل به وأنت تعلم ضعفه.

إذا كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

قال: ولا أدري ما تعشقكم لتعذيب أبوين كريمين.

قلت: يقول اللّٰه تعالى: ﴿**ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن اللّٰه لا يحب من كان خوانًا أثيمًا**﴾ [النساء: ١٠٧]، فلا تشغل نفسك بالدفاع عن مُشْرِكَيْنِ ماتا على الشرك وقضى اللّٰه عليهما به، ودع اتهام المسلمين حيث تزعم أن عملهم بالحديث واستسلامهم له قضاء نهمة وتلبية رغبة، فاتق اللّٰه في نفسك

أين حسن الظن بالمسلمين؟ وأين التماس الأعذار للمسلمين؟ ثم إن كنت صاحب حق لم لا تقابلهم بالبراهين خير من أن تأتي بالتهزآت والسخريات قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللَّه وقولوا قولًا سديدًا * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم**﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١]، وقال: ﴿**وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم ...**﴾ الآية [الإسراء: ٥٣].

تنبيــه:

قد يقول قائل: ما علاقة هذه البحوث بمسألة التطرف؟

فأقول: علاقتها أن الرجل يذكر القصص مصورًا أهلها في غاية من التشدد والتزمت، فاقتضى ذلك أن يواجَه بالحق والبرهان: أن هذه الفئة التي يواجهها ويلمزها بتلك الكلمات التي تنبع من جهل بالدين وسخرية بأهله هم المتمسكون بالكتاب والسنة، فنسأل اللَّه أن يظهر الحق ويزهق الباطل، وختامًا أتمثل بقول الشاعر:

وإن عناءً أن تُفهِّمَ جاهلًا	فيزعم جهلًا أنه منك أفهمُ
وتمتد أعناق الرعاع تعجبًا	إليه وقالوا إنه منك أعلمُ

وقوله الآخر:

إذا كنت لا تدري ولم تك بالذي	يسائل من يدري فكيف إذًا تدري
جهلت ولم تعلم بأنك جاهل	فمن لي بأن تدري بأنك لا تدري
إذا جئت في كل الأمور بغمة	فكن هكذا أرضًا يطأك الذي يدري
ومن أعجب الأشياء أنك لا تدري	وأنك لا تدري بأنك لا تدري

قال الغزالي (ص٣٤) من «همومه»: أليس مضحكًا أن يدخل داعية في المسجد فينظر إلى المنبر ثم يقول: بدعة. لماذا؟ لأنه من سبع درجات ويرى أن يقف على الثالثة لا يعدوها، ثم يرى المحراب فيقول أيضًا: بدعة لماذا؟ لأنه

مجوف في الجدار، ثم ينظر إلى الساعة ويقول: بدعة لماذا؟ لأنها تدق كالجرس، وأخيرًا يتكلم فيخوض في موضوع غث لا ينبه غافلًا ولا يعلم جاهلًا ولا يكيد عدوًّا، المهم عنده الاستمساك بالسُّنة على الشكل الذي يراه. أي سنة تعني. إن النبي العربي محمدًا قدر بسنته على إحياء أجيال بدلت الأرض غير الأرض، وحطمت إمبراطوريات ذات هيبة في الطول والعرض، إنه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم أنعش بسنته جماهير كانت في غيبوبة، وأطلقها تسعى بعد ما أضاءها من الداخل فعرفت المنهج والغاية، إننا بحاجة إلى شعاع على مسار الدعوة وحقيقة السنة فكم ظُلِمت السنة ممن يتشدقون بها. اهـ.

قلت: إني لأتعجب من جرأة هذا الرجل على سنة رسول اللَّه كيف يرد السنة ويقف حجر عثرة أمامها وحائلًا أمام انتشارها؟ وإنني أتساءل أيضًا عن الحامل له على ذلك فلا أجد غير أحد سببين أو كليهما، وهما: الجهل والعناد، ولا ينتفي عنه الجهل بتأليفه كتابًا أو كتابين أو عشرة؛ فإن الواقدي قد ألف كتبًا في السيرة فلم ينتف عنه الكذب، إنما العالم هو العامل، وأما كلامه للمذكور آنفًا ففيه مسائل تحتاج إلى تبيين وهي: المحراب والمنبر والجرس.

أما المحراب فلم يَرِدْ أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم جعل لمسجده محرابًا، ولو كان خيرًا لسبقنا إليه رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم، فلو ثَبَّتَّ عرشك قبل نقشه لكان خيرًا لك.

* * *

عدد درجات منبره
صلى الله عليه وعلى آله وسلم

قال الإمام مسلم رحمه اللّه (ج١ ص٣٨٦) :

ثنا يحيى بن يحيى وقتيبة بن سعيد كلاهما عن عبد العزيز قال يحيى أخبرنا عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه أن نفرًا جاءوا إلى سهل قد تماروا في المنبر من أي عود هو؟ فقال: أما واللّه إني لأعرف من أي عود هو، ومن عَمِله، ورأيت رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم أول يوم جلس عليه، قال: فقلت له: يا أبا عباس فحدثنا، قال: أرسل رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم إلى امرأة (قال أبو حازم: إنه ليسميها يومئذ) «**انظري غلامك النجار يعمل لي أعوادًا أكلم الناس عليها**». فعمل هذه الثلاث درجات ثم أمر بها رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم فوضعت هذا الموضع فهي من طرفاء الغابة، ولقد رأيت رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم قام عليه فكبر وكبر الناس وراءه وهو على المنبر ثم رفع فنزل القهقرى حتى سجد في أصل المنبر، ثم عاد حتى فرغ من آخر صلاته، ثم أقبل على الناس: فقال: «**يا أيها الناس إني صنعت هذا لتأتموا بي ولتعلموا صلاتي**».

شاهدنا من الحديث قوله: فعمل هذه الدرجات الثلاث، فأي لومٍ على من سلك سنة رسول اللّه واعتقد ما لم يكن رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم عليه فهو بدعة. هكذا كان منبر رسول اللّه فمن زاد على ثلاث درجات أو أنقص فقد جاء بشيء لم يكن على عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم ولم

يفعله رسول اللّٰه ولم يرغب فيه ، وقد يقول قائل : لم يَنْهَ عنه أيضًا ، فنقول : إن العبادة الأصل فيها التوقُّف على ما ورد لقوله صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم : « **من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد** » .

* * *

حكم الجرس

وأما الجرس فقد وردت أحاديث تدل على تحريمه:

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج٣ ص١٦٧٢):

ثنا أبو كامل فضيل بن حسين الجحدري ثنا بشر - يعني ابن المفضل - ثنا سهيل عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «**لا تَصْحَب الملائكة رفقة فيها كلب ولا جرس**».

ثم ذكر له الإمام مسلم طريقًا أخرى ثم قال: وحدثني يحيى بن أيوب وقتيبة وابن حجر قالوا: حدثنا إسماعيل - يعنون ابن جعفر - عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة أن الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «**الجرس مزمار الشيطان**». رواهما أبو داود (ج٣ ص٥٣، ٥٤).

فبما أن الجرس مزمار من مزامير الشيطان فلا عدوان على من أنكره، وإنما العدوان كل العدوان على من أنكر عليه، نسأل الله أن يبصرنا بعيوبنا.

وأما تنقصه للرجل الذي قام يتكلمُ على حسب زعمه بكلام لا يُذَكِّر ناسيًا ولا يُعَلِّم جاهلًا.. إلخ كلامه.

فأقول: لن أشغل نفسي في الدفاع عن أحد؛ فإن الله قد تكفل بالدفاع عن المؤمنين؛ فإن كان منهم وهو الأصل في الدعاة فسوف يدافع الله عنه، إنما أريد أن أعلم ماذا قد صنعت للإسلام حتى تقول مثل هذا الكلام؟ وكم قد هدى الله على يدك؟ وكم نصر الدين على يدك؟ والظاهر أنه لم يحصل لك شيء من ذلك، إذ لو حصل شيء من ذلك لكنت ذا أسلوب جذاب، ولا أرى من خلال كلامك إلا السخرية والاستهزاء، وشر الناس من حب السباب، وإن كان قد

حصل لك شيء من نصرة للدين، فإنه لعجب أمرك، وأعود للسؤال الأول ما هو السبب أجهل أم عناد؟ نسأل اللّه لنا ولكم الهداية.

وقال الغزالي في «همومه» (ص١١٥): هناك من يسوي بين الأخبار المتواترة وأخبار الآحاد في إفادة اليقين، وهذا غلو مرفوض، وهناك من يرحب بأخبار الآحاد دون تطبيق للشروط العلمية المقررة عن ضرورة خلوها من الشذوذ والعلل القوادح. اهـ.

قلت: حديث الآحاد إذا صح سنده وجب قبوله بغض النظر عن كونه يفيد ظنًّا أم علمًا، لاختلافهم في المسألة، ولكن يجب قبوله، وقد وردت أحاديث في قبول خبر الواحد الثقة، وقد وضع البخاري كتاب الآحاد في «صحيحه» قال رحمه اللّه (ج١٣ ص٢٣١):

باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والفرائض والأحكام وقول اللّه تعالى: ﴿**فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون**﴾ [التوبة: ١٢٢]، ويسمى الرجل طائفة لقوله تعالى: ﴿**وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا**﴾ [الحجرات: ٩]، فلو اقتتل رجلان دخلا في معنى الآية، وقوله تعالى: ﴿**إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا**﴾ [الحجرات: ٦]، وكيف بعث النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم أمراءه واحدًا بعد واحد، فإن سها أحد منهم رد إلى السنة، قال رحمه اللّه: حدثنا حفص بن عمر ثنا شعبة عن الحكم عن إبراهيم عن علقمة عن عبد اللّه قال: صلى بنا النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم الظهر خمسًا فقيل: أزيد في الصلاة؟. قال: «**وما ذاك؟**». قالوا: صليت خمسًا؟ فسجد سجدتين بعدما سلم.

ثنا إسماعيل حدثني مالك عن أيوب عن محمد عن أبي هريرة رضي اللّه عنه أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم انصرف من اثنتين فقال ذو اليدين:

أقصرت الصلاة يا رسول اللَّه أو نسيت؟ فقال: «**أصدق ذو اليدين؟**». فقال الناس: نعم. فقام رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فصلى ركعتين أخريين ثم سلم ثم كبر فسجد مثل سجوده ثم رفع. اهـ.

والأدلة متكاثرة في قبول خبر الواحد، ولولا خشية التطويل لاستقصيت في ذكر الأدلة، فتبين من خلال هذا أن خبر الآحاد حجة بنفسه في العقائد والأحكام ويجب قبوله سواء أفاد علمًا أم ظنًّا.

قال ابن حجر رحمه اللَّه في «الفتح»: قصد الترجمة الرد به على من يقول: إن الخبر لا يحتج به إلا إذا رواه أكثر من واحد حتى يصير كالشهادة، ويلزم منه الرد على من شرط أربعة أو أكثر؛ فقد نقل الأستاذ أبو منصور البغدادي أن بعضهم اشترط في قبول خبر الواحد أن يرويه ثلاثة عن ثلاثة إلى منتهاه، واشترط بعضهم أربعة عن أربعة، وبعضهم خمسة عن خمسة، وبعضهم سبعة عن سبعة ... إلخ.

قلت: قال تعالى: ﴿**ولو كان من عند غير اللَّه لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا**﴾.

[النساء: ٨٢]

قلت: وهذا آخر كلامي مع الغزالي ولم أستقص كل ما قاله في الهموم، فكيف لو نظرنا بقية كتبه، ولكن هذا كافٍ، وإنما المقصود أن تعرف وجهة الرجل عند المسلمين.

* * *

مع الدكتور عاصم عجيلة في كتابه الحرية الفكرية وترشيد العقل المسلم

ومعنا هنا كاتب آخر يسيل قلمه حقدًا على الدعاة إلى اللّٰه، وهو لم يزد على ما قاله الغزالي في كتاباته، وإنما ينقل عن كتيبات ومقالات نشرت ولم يأت بطائل، والمقصود لديهم أن يتهجموا على الدعاة إلى اللّٰه سواء أكان تهجمهم بعلم أم بجهل، بحق أم بباطل، وليس لديهم سوى تتبع الهفوات والسقطات للمبتدئين المتحمسين لدينهم، وهذا شأن المبتدئ، وأحيانًا يكون تشنيعهم على أصحاب الحق مع استصحابهم للدليل، ومع هذا يقفون في وجه النصوص حجر عثرة حائلة أمام انتشارها أو يكون انتقادهم انتصارًا لبدعة كما سترى في عرض بعض كلام عجيلة على الكتاب والسنة.

والدكتور عاصم عجيلة قد نال الدكتوراة في الحقوق من جامعة القاهرة المستشار بمحكمة القاهرة، والمعار للتدريس بجامعة صنعاء، والمنتدب للتدريس بالمعهد العالي للقضاء. ولا يغرنا ذلك فلو نال من الشهادات ما نال أو نال خمسين وظيفة وهو يتهجم على الدعاة إلى اللّٰه لن يزداد بذلك إلا حِطَّة، وليس ذاك نافعًا له يوم القيامة، ويا دكتور لو كانت الدكتوراة تنتج رجالًا من أمثالكم إنما هي شهادة زور لا تساوي لدينا فلسًا، وقد أخبرني أحد طلاب الجامعة أن الدكتور يُدَرِّس قانونًا فرنسيًا. فيا دكتور هل ضاقت عليك أسباب المعيشة حتى تأتي وتشغل أبناء اليمن بالقانون الفرنسي، وقد أغناهم اللّٰه بكتابه وسنة نبيه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم؟!

وأقبح من هذا أن تلمز الدعاة إلى اللّٰه بأنهم متطرفون فمن هم المتطرفون يا دكتور؟ هل الذي يتمسك بكتاب اللّٰه وسنة نبيه متطرف؟ إذا كان هذا الزمان

ليس وقت دعوة إلى توحيد ، وليس وقت دعوة إلى أفعال الرسول كصفة صلاته وصومه وحجه ؛ أو ليس وقت تحريم التصوير وتربية اللحى وإزالة البدع ، فوقت ماذا إذن ؟ مهلًا يا دكتور ، أما وجدت شيئًا تعترض عليه إلا الدعاة إلى اللّٰه العاملين بالكتاب والسنة ، إن كنت قد ابتليت بالميوعة والتخلي عن كثير من أمور الدين فضع حجرًا في فمك واسكت عن أولئك ودعهم يسيرون على ما هم عليه من الدعوة إلى كتاب اللّٰه وسنة نبيه ، أم تريد أن تعمل بقول الشاعر :

إذا أنت لم تنفع فضر فإنما ... يراد الفتى كيما يضر وينفع

أيها الدكتور لقد أفسدتم مصر فلا تفسدوا علينا اليمن ، إن الرسول صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم يقول : « **الإيمان يمان والحكمة يمانية** » . لقد أفسدت الشيوعية اليمن الجنوبي فلا تفسدوا علينا اليمن كما فعل أولئك ، إذا لم تكن قادرًا على أن تدعو إلى اللّٰه على الشكل الذي يريد اللّٰه ، ولا قادرًا على أن تترك الدعاة إلى اللّٰه فخذ عصاك على عاتقك وارتحل من بلدنا ، فنحن في غنًى عنك وعن أشباهك .

ولقد عرفت من خلال كتابك أنك صوفي العقيدة حيث قلت (ص٣٢ ، ٣٣) تحت عنوان (مآثر التجار والصوفية) : (إن التاريخ ليسجل للإسلام أن انتشاره في أرجاء شاسعة من العالم في مشارق الأرض ومغاربها لم يكن نتيجة القوة العسكرية والقهر الديني كما ادعى الحاقدون ، وإنما بسبب بساطة مناسكه من صلاة وصيام وزكاة وحج فضلًا عن روعة حضارته المتمثلة في العلوم والأدب والمساجد ، وهذه القوة الذاتية للإسلام قد حمل لواءها جماعات عديدة من التجار وأصحاب الطرق الصوفية ، والتي كان نشاطها واسع المدى رحب الأفق ، إلى أن قال : والغريب أن هؤلاء التجار الصوفية كانوا من غير المحترفين للدعوة إلى اللّٰه أصلًا ، ولكنهم اجتذبوا الناس إلى دينهم الحنيف بالمثل الأعلى والقدوة الحسنة ، فكانوا حسني السيرة لأمانتهم وعهدهم راعون ، وكانوا حقًّا أئمة في كل ضروب الخير) اهـ المراد .

فنقول : أيها الدكتور أمر الصوفية أشهر من نار على علم، فما هي القدوة الحسنة التي كانوا عليها حتى نالوا الإمامة في كل ضروب الخير؟ اقرأ «تلبيس إبليس» والكتب التي ألفت في الصوفية تجد فيها الضلال المبين والزيغ عن سبيل الرشاد، إن الصوفية هم الذي أظهروا الإسلام في ثوب خلق رديء، فكان الواحد منهم يرى أن يمشي في الصحراء من غير زاد ولا راحلة، ويزعم أنه متوكل على اللَّه، وترى الصوفي أيضًا يتخذ الغلام الجميل الفتَّان جليسًا ويقول إنه يتفكر في مخلوقات اللَّه ويغنون بالأغاني الغزلية ويعنون اللَّه ورسوله؛ إلى غير ذلك من الضلال الذي في مذهب الصوفية، فما هي القدوة الحسنة وما هو النشاط الواسع المدى الذي تدعيه؟ هل لنشر الخير أم لنشر هذه المنكرات؟.

وهذا أيها الدكتور من الأسباب التي حملتك على أنك تظهر عداوتك للدعاة إلى اللَّه حين رأيتهم لا يبقون للصوفية زلة إلا واعترضوها، وهي طريقتك التي تسير عليها ومذهبك الذي تدين به، وقد أخذتك الحمية عليها، وإنا نعرف أن الصوفية على استعداد على التحالف مع أعداء الإسلام ضد الدعاة إلى اللَّه.

قال الدكتور عجيلة في كتابه «الحرية الفكرية» (ص١٢١): (التصدي للفتوى لا يكون إلا بالنسبة لمن توافرت فيهم شروط الاجتهاد، وهي مرتبة لا يبلغها المجتهد إلا إذا اجتمعت لديه أوصاف دقيقة ومؤهلات فذة كي يتبوأ تلك المكانة)، إلى أن قال: إنه من المقرر شرعًا أنه لا يجوز أن يتصدى لتفسير القرآن إلا الراسخون في العلم كما أسلفنا في اللغة والنحو والتصريف وعلوم البلاغة وأصول الفقه والفقه والحديث والقراءات والناسخ والمنسوخ وأسباب النزول، إن التطفل في العلم منقصة لا يرضاها لنفسه عاقل ورشيد قال تعالى: ﴿**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**﴾ [النحل: ٤٣].

إلى أن قال: وحينئذ فإنه لا يجوز لطالب علم أو مجرد خريج من الجامعة أن يتصدى لتفسير القرآن الكريم ما لم يؤت بسطة في العلم في شتى فروعه التي ذكرناها آنفًا.

أقول : إن هذه الشروط في المجتهد والمفتي والمفسر لم ترد في كتاب اللّٰه ولا في سنة رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم ، بل متى عرف المسلم الدليل في المسألة وعلم أنه لم يرد دليل يخالف ذلك الدليل أو ينسخه أو يقيد عمومه أو يخص مطلقه فله الحق آنذاك أن يفتي فيها ويجتهد ، ولا يلزمه أن يترك الاجتهاد في تلك المسألة التي قد علمها حتى يعلم غيرها والرسول صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم يقول : « **بلغوا عني ولو آية** » . وقوله هذا مطلق سواءً كان التبيين تدريسًا أو خطابة أو كتابة أو إفتاء ، بل متى علم الدليل في مسألة ثم سئل وجب عليه أن يجيب بما يعلم فيها وإلا أثم لحديث أبي هريرة : « **من سئل عن علم فكتمه ألجمه اللّٰه يوم القيامة بلجام من نار** » . وسواء في ذلك علم غيرها أم لم يعلم .

ثم قولك : (لا يجوز أن يتصدى ... إلخ) ما هو دليلكم في ذلك ؟ فقد عرف أنه ما لا يجوز يفيد التحريم ولا يكون التحريم إلا بأدلة من الكتاب والسنة ، أم هناك مصدر ثالث للتحليل والتحريم ، إن كان ثَمَّ مصدر ثالث فما هو إلا الهوى .

قال الدكتور عاصم : (ومن مظاهر التطرف والجمود ميل أصحاب تلك العقول إلى التضييق في دائرة المباح أو تغليب القول بالتحريم والتضييق على أهلهم وذويهم وعلى المسلمين في أمور قد تكون من المباحات ... إلى أن قال : والنتيجة هو إظهار الدين الإسلامي بمظهر التزمت والحرفية ... إلى أن قال : فكما يقول الشيخ محمد الغزالي : فهؤلاء دائمًا تجدهم يتبعون الأعنت فالأعنت والأغلظ فالأغلظ من كل رأي ، فلا يفتون إلا بما يشق على الناس في أمر دينهم ودنياهم فأغلبهم معتل الضمير والتفكير) .

أقول : إنا قد علمنا أنك تعني بأصحاب تلك العقول أولئك الرجال الصالحين المتمسكين بالكتاب والسنة ، الداعين إلى اللّٰه على وفق كتاب اللّٰه وسنة رسوله ، إن السخرية والاستهزاء بالدعاة إلى اللّٰه شأن أعداء اللّٰه من زمن قديم قال تعالى : **﴿ إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون * وإذا مروا بهم يتغامزون * وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين * وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون * وما**

أرسلوا عليهم حافظين * فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون * على الأرائك ينظرون * هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون ﴾ [المطففين: ٢٩ - ٣٦].

وقال تعالى: ﴿ **إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين * فاتخذتموهم سخريًا حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون * إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون ﴾**.

[المؤمنون: ١٠٩ - ١١١]

وقال تعالى: ﴿ **زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾**.

[البقرة: ٢١٢]

حقًّا إنها الميوعة والتسيب التي حملتك على هذا الهجوم العنيف ضد الدعاة إلى الله، هلَّا ذكرت شيئًا حلالًا حرموه أم حرامًا حللوه؟ إننا نسعى دائمًا إلى أن نعمل بأي سنة من سنن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وكذا لا نحلل إلا ما أحله الله ورسوله، ولا نحرم إلا ما حرمه الله ورسوله، فهاتوا لنا مسألة حرمناها ولم يرد دليل في تحريمها، إن أتيتم بشيء فما تأتون إلا بالإسبال والتصوير وحلق اللحى، وهذه وما شابهها قد وردت فيها الأدلة بالتحريم، وأما أن تسود صفحات كتابك بكلام معسول تفتن به العامة، وتستشهد عليه بكلام الغزالي أو غيره فهذا لا قبول له لدينا، وما أقوالكم إلا كالسراب، فإن كان العامة على شك في أمركم فإن أهل العلم لعلى يقين فيكم أنكم ليس لكم قصد سوى عداوة الدعاة إلى الله. أيها الدكتور إن الكلام وحده لا يكفي ولكن قولوا بعلم كي يرى الناس من يدري وصرحوا ولا تكنوا.

قال الدكتور: (تنهض شرعة هؤلاء في الاستدلال بالكتاب والسنة عند الوقوف على المعاني الظاهرة من النصوص الشرعية، مع أنهم لو درسوا أصول الفقه لوجدوا أن تفسير النصوص الشرعية ليس بالأمر الهين، وأن ذلك يحتاج إلى

عدة وعتاد من العلم باللغة والدين والفقه .... إلخ) .

قلت : علام هذا التشديد والحرج؟ إن دين الإسلام سهل قال اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿**ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر**﴾ [القمر : ١٧] ، والرسول صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول : « **بعثت بالحنيفية السمحة** » . فلماذا تصورونه بهذا البعد؟ أصحاب رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم كان يبلغهم النص في المسألة فلا يلجئون إلى غيره ، ولا يقولون لعل فهمه على غير الظاهر ، وإنما يأخذون بظاهر ما جاءهم ولم يدرسوا أصول الفقه[1] ، وإنما كان أحدهم إذا أراد أن يستفسر عن شيء يقول : ماذا تحفظ عن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم في هذا؟ فيكون الجواب بما قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، وإن كنت تتهمنا بالأخذ بحرفية النصوص ، فأنتم قد تركتم النصوص جانبًا وتركتم العمل بها ، وخالفتم أمر رسول اللَّه علنًا في ضحى النهار ، ألم يقل رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « **قصوا الشوارب وأعفوا اللحى** » ؟ . وأنت قد حلقت لحيتك وخالفت حديث رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم .

ويقول الرسول صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « **لعن اللَّه المصورين** » . وأنتم تعادون الذي يحرم التصوير والنص معه .

ويقول اللَّه تعالى : ﴿**وإذا سألتموهن متاعًا فسألوهن من وراء حجاب**﴾ [الأحزاب : ٥٣] ، والأدلة في تحريم الاختلاط والتبرج كثيرة معلومة ، والاختلاط لديكم في الجامعة فهلا سلطت كتاباتك في إبعاد ذلك الفساد؟ فعلام يا دكتور تشنعون على مَنْ تمسك بكتاب اللَّه وسنة نبيه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم بحجة أنهم يأخذون بحرفية النصوص أتريدونهم أن يتخلوا كما تخليتم؟

---

(١) لم أقصد تحريم الدراسة في أصول الفقه ؛ فإن أهل السنة لا يزالون يَدْرسون ويُدَرِّسون أصول الفقه ويؤلفون فيها الرسائل والكتب ، وإنما أقصد أن الصحابة رضي اللَّه عنهم لم تكن تلك الشروط عندهم وليس عندهم ذلك الحرج والتشديد .

ثم نقل الدكتور كلامًا تحت عنوان: (تصوير الدين بأنه دين للآخرة وحدها)، وينسب ذلك المقال لرجل يدعى خالد محمد خالد، قال فيه: لقد نسوا أن الإسلام يعلم أبناءه أن يتزاحموا حول العلم بالمناكب، ويقبلوا عليه إقبال العاشق الملهوف، والعلم حينئذ هو علم الدنيا والآخرة، والذي يجعل من الدنيا مجالًا طيبًا للتجارة عن طريق المعرفة والحضارة، أليس من التناقض حقًّا أن يقاطع بعض المسلمين ألوانًا من الحضارة المادية، ثم يتهافتون على بعضها الآخر؟ فهم يتحدثون مثلًا في التليفون، ويستضيئون بالكهرباء، ثم تجدهم بعد ذلك يحذرون من التصوير الفوتوغرافي، أو الظهور على شاشات التلفزيون بحجة أنها محرمة علينا، فلا يجوز أن نقربها. اهـ.

قلت: لا، ليس تناقضًا أن نستعمل ما لم يأتِ دليل في تحريمه ونترك ما ورد الدليل بتحريمه، ولكن التناقض أن نحرم الشيء ونغشاه بعينه، فمثلًا استعمالنا للسيارات نعتقد حله؛ لأنه قد أحل لنا كل ما في الأرض ما لم يأتِ ما يحرمه، قال تعالى: ﴿**هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعًا**﴾ [البقرة: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿**والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون * ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون * وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرءوف رحيم * والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون**﴾ [النحل: ٥ - ٨].

ونترك التلفزيون، لأنه قد وردت أدلة بتحريم التصوير كما قدمنا في الرد على الغزالي، ولكنكم أنتم المتناقضون إذ تدعون باسم الإسلام، ثم تتركون نصوص الكتاب والسُّنة جانبًا، وتعملون بما وافق هواكم، وكما قيل: رمتني بدائها وانسلت.

قال الدكتور: ومما يزيد في حجم المشكلة أن التطرف الذي يبدو لا يقع في تقديم مزيد من الخدمات الاجتماعية للمجتمع، وإنما في الحرص الشديد على طرح الأمور الخلافية والتناوش بشأنها؛ كالتنطع في مكان وضع اليدين، أو الرجلين أثناء الصلاة، أو البدء بالبسملة في الصلاة، أو في عدم البدء بها، أو

نجاسة ريق الكلب من عدمه ، أو صلاة ركعتين سنة في أثناء الخطبة ، أو كيفية وضع اليدين أثناء الصلاة عند كل قيام بعد الركوع ، فإن تحدثت معهم عن الدساتير التي تقيد سلطة الحكام ... إلى أن قال : أجاب عليك هؤلاء بأن تلك بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار ، ما هو الذي في النار على وجه التحديد ؟! نبئوني بعلم إن كنتم صادقين .

قلت : المحرم يا دكتور : أن تنتقد من اهتم بسنة رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم تعلمًا وعملًا ، إنهم حين يسهرون الليالي من أجل أن يعرفوا صحة حديث من ضعفه ، أو يعرفوا كيف صلى رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم ، هذه عزة ورفعة في حقهم ، ولولا اللّٰه سبحانه وتعالى ، ثم أصحاب الحديث ما وصل إلينا هذا الخير ، ولقد أحسن الحافظ الصوري إذ يقول :

قل لمن عاند الحديث وأضحى عائبًا أهله ومن يدعيه
أبعلم تقول هذا أبن لي أم بجهل فالجهل خلق السفيه
أيعاب الذين هم حفظوا الدين من الترهات والتمويه
وإلى قولهم وما قد رووه راجع كل عالِم وفقيه

فما هو وجه الانتقاد على من اهتم بسنة رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم ، بل الواجب عليكم أن تخضعوا أمام طلبة العلم وتتعلموا منهم أمر دينكم ، فلو سألناك : ماذا تحفظ عن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم في الصلاة ؟ فلا أدري تجيب أم لا تجيب ، فإن أجبت لم تزد على الواجب ، وإن لم تجب فأنت جاهل بدينك ، ولو سألت أحدهم عن شيء من الأمور العصرية فأجاب ، فهي رفعة له وإن لم يجب لم ينقص قدره ما دام ملتزمًا بالكتاب والسّنة ، أما قولك : (فإن تحدثت معهم عن الدساتير .. إلخ) نحن لا نقر هؤلاء بأنها بدعة ، وإنما هذا شيء مباح إذا تعلمه الإنسان لا بد أن يأخذ من العلم ما أوجب اللّٰه عليه من الدين وإن لم يتعلمها لا شيء عليه .

قال الدكتور: حتى إن الحفاوة بالمناسبات الإسلامية صارت بدورها بدعة في النار كليلة الإسراء والمعراج وميلاد الرسول صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم في عصر ما أحوج الإسلام فيه إلى عرض في ثوب جديد ملائم حتى بين أهله وخاصة ضعاف الإيمان، وتناسوا ذكر اللَّه وقوله تعالى: ﴿**وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين**﴾ [الذاريات: ٥٥].

قلت: نعم إن كانت المناسبات التي تعني هي الاحتفال بليلة المعراج ومولد رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فهي بدعة؛ لأن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم عرج به قبل الهجرة ومكث في المدينة عشر سنين فلم يرد أنه احتفل بالإسراء والمعراج، فهل الدين ناقص حتى تتموه أنتم معشر المبتدعة؟ وكذلك المولد ظل النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ثلاثًا وعشرين سنة وهو نبي، ولم يرد عنه أنه احتفل بالمولد، أو حث عليه، أو رغب فيه، والرسول صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**» متفق عليه من حديث عائشة.

ودليل عجيلة في شرعية المولد حديث: أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم صام يوم عاشوراء إحياء لذكرى نجاة موسى عليه السلام من الغرق حين قدم المدينة واليهود فيها يصومون يوم عاشوراء فقال: «**نحن أحق بموسى منكم**» فصامه.

قلت: إن الرسول صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم كان يثبته الوحي فمن يثبتكم معشر المبتدعة؟ ثم إن الدين كان لا زال قابلًا للزيادة والنقصان، ولكن الدين الآن قد تم؛ فإن كان المولد من دين اللَّه فهاتوا الأدلة على ذلك، وإلا فاتركوه واعترفوا بأنه بدعة، وأما قوله تعالى: ﴿**وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين**﴾ [الذاريات: ٥٥]، وقوله: ﴿**والذاكرين اللَّه كثيرًا والذاكرات**﴾ [الأحزاب: ٣٥]، فهذا فيما ورد فيه الدليل فإن تخصيص وقت مخصوص بعبادة مخصوصة من غير دليل يعتبر بدعة، وإلا فسوف يُدْخل من شاء ما شاء.

وأما قولك : إن الدين محتاج إلى عرض في ثوب جديد ملائم .

فنقول : نعم ، ولكن يعرض على ما كان عليه النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم لا كما عرضتموه أنتم ، فأنتم بعرضكم هذا الدين تنفرون المسلمين وأعداء الإسلام عنه ، فتجد الرجل حالقًا للحيته وامرأته عارية فلا تفرق بينه وبين الكافر ، زيادة على هذا : التعامل بالكذب والخيانة والغش والموالاة لأعداء الإسلام ، فلقد أصبحت أنت وأمثالك عارًا على الإسلام وعائقًا أمام انتشار الدعوة الإسلامية ، وإذا لم تطب أنفسكم أن تتعلموا العلم النافع من السلفيين ، فننصحكم أن تذهبوا إلى شباب بأمريكا هداهم اللّه للإسلام حتى تتعلموا الأخلاق الإسلامية .

* * *



مع صادق أمين في كتابه الدعوة الإسلامية

أخبرني بعض إخواننا أن المؤلف هو «عبد اللَّه عزام» وإنما هذا اسم مستعار، فاللَّه أعلم.

قال صادق أمين وهو يتكلم عن السلفيين (ص ٨٥) من «الدعوة الإسلامية»: كما لا يوجد عندها تنظيم يربط أفرادها.

قلت: نعم ليس لنا تنظيم إلا كتاب اللَّه وسنة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم، ولا يوجد لدينا ولا لدى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم دفتر يسجل فيه من التحق بالجماعة، وإنما من التزم بالكتاب والسنة فهو أخونا في اللَّه نحبه في اللَّه، سواء أكان من الشرق أم من الغرب، وسواء في ذلك عرفناه أم لم نعرفه، كما نفرح أيضًا بكل داعية إلى اللَّه ملتزم بالكتاب والسنة من أي بلد كان، على أننا لا ننكر التنظيم الذي يتمشى مع الكتاب والسنة، ولا نحرمه، بل نرغب فيه وندعو إليه بشرط أن لا يشغلنا عن العلم النافع، ولا عن الدعوة إلى اللَّه كما شغلكم وأبعدكم عن العلم النافع.

قال صادق أمين أيضًا: ويبذل دعاتها وقتًا وجهدًا كبيرين في الدعوة إلى فرعيات ليس من مصلحة الدعوة الإسلامية الاشتغال بها والتركيز عليها في وقت يواجه فيه الإسلام حربًا شرسة لاجتثاثه من الجذور، فليس أمرًا مقبولًا أن تحدث الناس عن الآراء المتعددة حول الصلاة على النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم بعد الأذان، أو إقامة ضجة حول سنة الجمعة القبلية، وعدد درجات المنبر أو وجود ساعة الحائط في المسجد باعتبارها بدعة، بينما الإسلام الفعلي غير موجود على الأرض.

أقول: يا هذا أقصر عن الهوس، رب العزة يقول: ﴿**يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة**﴾ [البقرة: ٢٠٨]، ويقول: ﴿**فاستقم كما أمرت**﴾ [هود: ١١٢]، ويقول: ﴿**فاستقيموا إليه**﴾ [فصلت: ٦]، وقد كان المشركون في عهد رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يحاولون اقتلاع الدين من الجذور، ومع هذا فقد كان النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يعلم أصحابه كيف يأكل أحدهم، وكيف ينام وكيف يجامع أهلا؛ بل ويعلمهم ماذا يقولون عند قضاء الحاجة، أترى كان يبذل جهدًا كبيرًا في فرعيات ليست من مصلحة الدعوة الاشتغال بها أم سنة رسول اللَّه غير صالحة لهذا الزمن؟ كبرت كلمة تخرج من أفواهكم، ماذا فعلتم أنتم حين تخليتم عن سنة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم دعوة وعملًا، وإذ تركتم ذلك بماذا أفدتم المجتمع؛ بل ما هو الفرق بينكم وبين العامة؟ الفارق بينكم وبين العامة أن العامة تركوا ذلك جهلًا وتركتموه عن علم.

وأما قولك: (ليس أمرًا مقبولًا ... إلخ) فلستم الميزان في القبول والرد، ولستم مفوضين في شرع اللَّه حتى تقبلوا ما تشاءون وتردوا ما تشاءون، فإن النصر يحصل عند التمسك بالدين، ويأتي الخذلان عند التفريط في شيء من أوامر رسول اللَّه، وتخلينا عن ذلك ليس فيه نصرة الدين بشيء؛ بل إنما ينصر الدين كما قلنا بالمحافظة على حرمات اللَّه، أنسيت أن اللَّه أخرج آدم من الجنة بمعصية واحدة؟ ونكبة أُحُدٍ بمخالفة الصحابة لأمر واحد؟ وكذا غزوة حنين حين قال بعض الصحابة: لن نغلب اليوم من قلة؟

قال: وقد صرح المشتغلون بالخط السلفي أكثر من مرة أنهم لا ينظمون جماعات، ولا يرون التنظيم، بل يعتبرون البيعة لأمير الجماعة بدعة عصرية، ولكن هذا القول منقوض بالكتاب والسنة والإجماع، ثم ذكر أدلة من الكتاب والسنة والإجماع على بيعة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم، ثم قال: وقد يقول قائل: إن البيعة كانت لرسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم

كحاكم، ولكن يرد على هذا بأن بيعة العقبة كانت ورسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم لا يزال يقود جماعة من المسلمين ليس لها أرض ولا سلطان ... إلخ.

نقول: نعم إن البيعة كانت لرسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم وهو حاكم حتى بيعة العقبة، كان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم هو الحاكم وهو الآمر وهو الناهي، أم كان هناك للمسلمين حاكم آخر غيره؟ بل الرسول صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم حاكم من حين بعث، وطاعته واجبة من حين بعث، وأما البيعة لمجهول لا سلطان له، فإنا نعتقد أنها محرمة؛ لأن الدولة الإسلامية موجودة ومبايعة شخص غير مجهول - فضلًا عن أن أقول مجهول - مع وجود الدولة الإسلامية يعتبر شقًّا لِعصا المسلمين والرسول صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول: «**إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما**».

يا هذا أما آن لكم أن تعتبروا، أصبحتم ضحايا للظَلَمة، فهل أغنى عنكم هذا التنظيم والبيعة؟ فليس بعيدًا ما فعله الطاغية جمال عبد الناصر بالإخوان المسلمين، وما فعله الملحد النصيري حافظ أسد، وخديعة النميري، ولا نقول هذا شماتة بكم وإنما شفقة على الشباب المسلم.

قال: ويرى السلفيون أن أول خطوات العمل الإسلامي (التصفية) أي فصل الأحاديث الضعيفة عن الصحيحة، وهذا عمل علمي مفيد إلا أننا نقول: إن السلف الصالح قد أغنانا عن كثير من هذا العناء وترك لنا ثروة هائلة في علوم الحديث ومصطلحه، ويجب أن تنصب الجهود الآن على تربية الجيل وإنقاذه من الكفر الداهم، ومن الأفكار المادية الجارفة، وكذلك مهما حاولنا اتباع الأدلة الصحيحة فإن الخلاف سيبقى دائمًا لاختلاف النظر في النصوص نفسها واتفاق الأئمة على أمر فرعي يكاد يكون مستحيلًا .... إلخ.

قلت: يا صادق أمين ما أنت في هذا صادق ولا أمين، إن السلفيين يرون أن

أول شيء هو التصفية والتربية، فلماذا ذكرت إحداهما دون الأخرى، وأين الأمانة العلمية؟ أما اتقيت اللَّه عند الكتابة؟ ألم تشعر أنك كذبت أو ظلمت الآلاف من المسلمين يا صادق أمين؟ إن الشيخ الألباني - أطال اللَّه بقاءه - هو الذي يقول بين حين وآخر: أول شيء نبدأ به التصفية[1] والتربية، ولا نشغل أنفسنا بالحكم، فمتى تربى الناس على الكتاب والسنة، فإن أنظمة الحكومات سوف تتغير، هذا معنى كلامه؛ فاتقوا اللَّه واعدلوا وحافظوا على الأمانة العلمية؛ فإن اللَّه سبحانه وتعالى يقول: ﴿**ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى**﴾ [المائدة: ٨]، والتصفية والتربية هي مطلوبة من كل داعية إلى اللَّه فإن الرسول صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم حين بعث معاذًا إلى اليمن قال له: «**إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه أن**

(١) ثم اعلم أن التصفية عند أهل السنة ليست مقصورة على تصفية الأحاديث الصحيحة من الضعيفة ما هذا إلا جزء من أجزائها أما مرادهم بها، فأمور منها:
١- تصفية المجتمع من أدران الشرك والوثنية والبدع المحدثة.
٢- تصفية المجتمعات من التبرج والسفور.
٣- تصفية الأسواق من الغش والكذب في البيع والشراء، وتصفية كل البيوع التي هي غير شرعية.
٤- تصفية التعليم مما دس فيه.
٥- تصفية الإعلام من المجون والخلاعة، وتوجيهه ليكون شرعيًا.
٦- تصفية السلك الحكومي من التبعية لأعداء الإسلام وتطويعه للاستسلام للَّه، وما شابه ذلك حتى يصفو المجتمع للَّه أو على الأقل العدد الكافي في ذلك.
وأما التربية فإنها تقتضي تربية الناس أجمعين رجالًا ونساء، وطلابًا وعمالًا، وعسكريين وغير ذلك من طبقات الشعوب، يربى هؤلاء حتى يكونوا مهيئين لأن يكونوا تحت حكم إسلامي يتحملون جميع ما يصيبهم من مشاق الدنيا، فعند ذلك يستطيع المسلمون أن يقيموا الحكومة المسلمة حتى وإن كان الذين تربوا قليلًا عددهم ما دام العلماء قد أفتوا أنهم عدد كاف للنهوض لنصرة الإسلام.
هكذا يا صادق يجب أن تفهم لا أن تقوم بمجموعة من قراء الجرائد والمجلات وهواة السمر والرحلات والحفلات والتمثيليات، هؤلاء لا تقوم على أكتافهم دولة وليسوا أهلًا لذلك، وهل سقطت الدولة الإسلامية إلا حين جاءت على أكتاف أمثالهم؟!

يشهدوا أن لا إله إلا اللّه وأن محمدًا رسول اللّه ، فإن هم أطاعوك لذلك فأخبرهم أن اللّه افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة ، فإن هم أطاعوك لذلك فأخبرهم أن اللّه افترض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ....» الحديث .

فيجب على الدعاة إلى اللّه أن يهتموا بإزالة الشرك من المجتمع ، ثم بعد ذلك يطبقوا أوامر اللّه الأهم فالأهم ، ولا أقول اللباب فالقشور ؛ فإن تقسيم ديننا إلى قشور ولباب بدعة ، ولعلي أتكلم عليها إن شاء اللّه .

يا صادق أمين إن لك أشباهًا فلست الوحيد الذي يقول هذا ، فإن هناك من إخوانكم من يقول : ما عندهم إلا حديث صحيح وحديث ضعيف ، وهذا كلام من قصرت هممهم ، وليسوا أهل علم ولا دعوة ، ما في نفسه إلا جريدة إن أتت قرت عينه .

يا أخي :

لا تحسب المجد تمرًا أنت آكله   لن تدرك المجد حتى تلعق الصبر

إنك لو نظرت بعين العدالة إلى مؤلفاتهم لعرفت أنهم مهتمون بكل ضروب العلم ، فمنهم المحدث والفقيه والعقائدي واللغوي والشاعر والمهندس والكهربائي وغير ذلك ، انظر إلى مؤلفات الشيخ الألباني حفظه اللّه : ألّف « صفة الصلاة » و « حجة الرسول » و« أحكام الجنائز » ، وهذا في الفقه ، وألف « مختصر العلو للعلي الغفار » و« مختصر كشف الأستار » ، ووضع لكل منهم مقدمة قيمة ، وهذا في العقيدة ، وألف « السلسلتين الصحيحة والضعيفة » و« صحيح الجامع » و « ضعيفه » ، وهذا في الحديث .

كذلك شيخنا مقبل بن هادي حفظه اللّه ألف « الشفاعة » و« رياض الجنة » و« إرشاد ذوي الفطن لإبعاد غلاة الروافض من اليمن » ، وهذه جامعة للحديث والعقيدة ، وكذا ألف « شرعية الصلاة في النعلين » و « تحريم الخطاب بالسواد »

وهذا في الفقه، وألف «الصحيح المسند من دلائل النبوة» و«أسباب النزول»، فعلام تقصر جهودهم الفذة على معرفة صحة الحديث من ضعفه؟ لكنه التعصب الأعمى والحقد الدفين نعوذ بالله من ذلك، ثم هب أنهم رأوا أن الناس تركوا الحديث جانبًا فاهتموا به وتخصصوا فيه فهذا عمل مشرف والتخصص جائز شرعًا.

قال حذيفة بن اليمان: كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن الخير وأنا أسأله عن الشر مخافة أن يدركني.

قال ابن حجر: فيه شرعية التخصص.

والحمد لله قد انتشرت بفضل الله ثم بجهود السلفيين سنة رسول الله في شتى بقاع الأرض، فما أدري ما هو الذي تشرقون به عند ذكر أهل الحديث حتى يحملكم على هذا؟ وأيضًا ماذا قد صنعتم للإسلام حتى قلتم ما قلتم؟ أشغلتم أنفسكم بالتنظيم عن العلم النافع، وضيعتم معكم شباب المسلمين وميعتموهم، يلتحق الرجل معكم وهو متمسك بدينه فما هي إلا برهة فإذا هو قد ماع وأصبح لا يستحق أن يذكر.

وأما قولك: (وكذلك مهما حاولنا اتباع الأحاديث الصحيحة .... إلخ).

فأقول: إن الخلاف في المفاهيم شيء ضروري لا مفر منه، قال تعالى: ﴿**ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك**﴾ [هود: ١١٨]، وليس في ذلك ما يثبط عن العمل الجاد نحو تطبيق السنة، وهب أنهم تركوا تتبع الأحاديث الصحيحة هل سينتهي ذلك الخلاف الكائن في مفاهيم الناس؟ وكيف يعملون بسنة رسول الله إذا تركوا معرفة الصحيح من الضعيف؟ إن الخلاف قد كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كما في حديث «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة**» فَفَهِمَ بعضهم أن القصد الإسراع فصلوا العصر حين حانت، وفهم آخرون الأمر على إطلاقه فلم يصلوا حتى وصلوا، فلم

ينكر رسول اللّٰه على أحد منهم ، وهذا فتح لباب الاجتهاد وباب الاجتهاد مفتوح حتى يرث اللّٰه الأرض ومَنْ عليها ، وإن رغمت أنوف المبتدعة .

وأما قولك : (يجب أن تنصب الجهود الآن على تربية الجيل وإنقاذه من الكفر الداهم) فبأي شيء تنقذه وبأي أمر تقنعه وأنت تزهد في سنة رسول اللّٰه ؟ أبالجرائد والمجلات أم الأناشيد والتمثيليات ؟ . إن الجرائد والمجلات والأناشيد والتمثيليات والرحلات لا تربي رجالًا ، بل تميعهم وتضيعهم ، وهذا الأسلوب في الدعوة لم يسلكه رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم في دعوته ، ولا أصحابه من بعده رضي اللّٰه عنهم ، والخير فيما ساروا عليه .

ماذا تريدون منا ؟ :

هذا السؤال أوجهه إلى هؤلاء وأشباههم المتشدقين بطلاب العلم الداعين إلى اللّٰه ، إلى الشامتين بهم المثيرين حولهم الشبه ولو بالأباطيل ، نقول لهم : ماذا تريدون منا ؟ أتريدون منا أن ننسلخ كما انسلخ أولئك ؟ أتريدون منا أن نقول كما قال طه حسين : إنما القرآن أساطير ؟ أم نكون ماسونيين مثل جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده الضالَيْنِ ؟

أقول : نعم هم يريدون منا ذلك ، وإن لم يصرحوا ، ولو لم يكونوا يريدون منا أن نكون مثل أولئك لرأيناهم ينتقدونهم ولو في حرف واحد ، وإنما ينظرون إلى أولئك الضُلَّال نظرَهم في المجدد ، نعم هم مجددون ولكن للكفر والضلال ، فأحسن واحد في أولئك يعتبر ضالًّا ؛ فإن شك أحد فيما أقول فليرجع إلى « تفسير المنار » وكتاب « دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام » وكتاب « طه حسين في ميزان العلماء والأدباء » فسيجد أكثر مما قلت .

* * *

بدعة تقسيم الدين إلى قشور ولباب

هذه البدعة لا أدري من أول من أحدثها ، وقد سألت بعض إخواننا في اللَّه عن ذلك فلم أجد شيئًا في تحديد قائلها الأول ، وإنما نسمعها من جمهور المائعين المتساهلين الذين انفتحت عليهم الدنيا فمالوا إليها وتميعوا مع ملذاتها وتساهلوا بأمر اللَّه وأمر رسوله صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم حتى أصبحوا على حالة يندى لها الجبين ، ولم يقفوا عند هذا الحد - وليتهم وقفوا - بل ذهبوا يلمزون الدعاة إلى اللَّه الصادقين المتمسكين بكتاب اللَّه وسنة رسوله بأنهم متشددون ومتنطعون ، وبأنهم يهتمون بالقشور ويتركون اللباب ، ويقولون : إنكم في دعوتكم كمن ذهب إلى الأغصان ليهتم بها ، وأعداء الإسلام يريدون أن يقتلعوا الشجرة من جذورها .

يا معشر المائعين : ما هي الأمور التي تمسكنا بها وهي من القشور ؟ أتعنون بها سترة المصلي ، والإشارة بالأصبع عند التشهد في الصلاة ؟ أم تعنون بها النهي عن حلق اللحى والتصوير والمسبحة ؟ أم النهي عن الأغاني والتلفزيون والفيديو وغير ذلك من أنواع الفساد ؟ فكل ذلك قد فعله رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، فهل كان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يتمسك بالقشور ويترك اللباب ؟ وأعداء الإسلام في عهده صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يريدون أن يتخطفوا المسلمين من كل جهة .

إنكم حين تلمزون الدعاة إلى اللَّه بذلك إنما تلمزون رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، فاتقوا اللَّه وقفوا عند حدكم ، واعلموا أنكم سوف تقفون أمام اللَّه كلٌّ بمفرده ، وفي ذلك اليوم لا يقبل منك قولك : إنه نظام عالمي لا يستطيع الفرد أن يغيره ، وإنما في ذلك اليوم نفسي نفسي لا أسألك إلا نفسي ﴿**يوم يفر**

المرء من أخيه * وأمه وأبيه * وصاحبته وبنيه * لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ [عبس: ٣٤ - ٣٧].

والآن سوف أورد لكم مجموعة من الأدلة التي لو قام أحد منا يحدث بها لقلتم إنما يهتم بالقشور ويدع اللباب، فإن تبتم فهو خير لكم، وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله، ولتعلموا آنذاك أنكم إنما تلمزون رسول الله بذلك، ومن كان خصمه رسول الله فلن يفلح أبدًا.

الحديث الأول:

قال الإمام مسلم رحمه الله (ج٣ ص١٦٤٧) من كتاب اللباس:

حدثنا داود بن رشيد ثنا عمر بن أيوب الموصلي ثنا إبراهيم بن نافع عن سليمان الأحول عن طاوس عن عبد الله بن عمرو قال: رأى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عليَّ ثوبين معصفرين فقال: «**أمك أمرتك بهذا؟**»، قلت: أغسلهما؟ قال: «**بل احرقهما**».

وفي رواية لمسلم أيضًا: «**إنها من ثياب الكفار فلا تلبسها**».

والحديث رواه النسائي (٢٠٣/٨) كتاب اللباس باب ذكر النهي عن لبس المعصفر.

فيا ترى هل كان رسول الله يهتم بالقشور حين نهى عبد الله بن عمرو عن لبس المعصفر؟ أم كان لا يعرف أسلوب الدعوة حتى جئتم أنتم بثاقب فهمكم وغزارة علمكم، وسعة إدراككم، وحرصكم العظيم على هداية الأمة فابتكرتم هذا التقسيم؟ أم الحزبية تجعل الإنسان يتغلب على النصوص؟! نعوذ بالله من الزيغ.

الحديث الثاني:

قال الإمام مسلم رحمه الله (١٦٥٥/٣) كتاب اللباس:

ثنا محمد بن سهل التميمي ثنا ابن أبي مريم أخبرني محمد بن جعفر أخبرني

إبراهيم بن عقبة عن كريب مولى ابن عباس عن ابن عباس أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم رأى خاتمًا من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه وقال: «**يعمِد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده**». فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: خذ خاتمك فانتفع به قال: لا، واللَّه لا آخذه أبدًا وقد طرحه رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم.

الحديث الثالث:

قال الإمام مسلم رحمه اللَّه (١٥٩٩/٣) كتاب الأشربة:

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا زيد بن الحباب عن عكرمة بن عمار حدثني إياس بن سلمة بن الأكوع أن أباه حدثه أن رجلًا أكل عند رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم بشماله فقال: «**كُلْ بيمينك**». قال: لا أستطيع قال: «**لا استطعت**». ما منعه إلا الكبر قال: فما رفعها إلى فيه.

الحديث الرابع:

قال البخاري رحمه اللَّه في كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام (٩/ ٥٢١):

ثنا علي بن عبد اللَّه أخبرنا سفيان قال الوليد بن كثير أخبرني أنه سمع وهب بن كيسان أنه سمع عمر بن أبي سلمة يقول: كنت غلامًا في حجر رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم وكانت يدي تطيش في الصحفة فقال لي رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «**يا غلام سم اللَّه وكُلْ بيمينك وكل مما يليك**». فما زالت تلك طعمتي بعد.

الحديث أخرجه مسلم في الأشربة (ج١٥٩٩/٣).

فهل كان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يكلف نفسه بتحديث طفل قل أن يعي من أجل أمر هو من القشور؟! كلا واللَّه.

الحديث الخامس:

قال البخاري رحمه الله (١٠/٢٥٧) كتاب اللباس باب من جر ثوبه من الخيلاء:

حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «**لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطرًا**».

رواه مسلم (٣/١٦٥٣) كتاب اللباس.

وقال البخاري أيضًا في المرجع السابق:

حدثنا آدم ثنا شعبة ثنا محمد بن زياد قال سمعت أبا هريرة يقول: قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أو قال أبو القاسم صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجل جمته إذ خسف الله به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة**».

رواه مسلم في المرجع السابق.

فيا ترى هل يدع الله النظر إلى إنسان من أجل أمر هو من القشور؟، وهل يخسف الله بإنسان فيبقى يتجلجل في الأرض من أجل أمر هو من القشور؟، سبحانك هذا بهتان عظيم.

إخواني في الله إن دين الإسلام يجب أن يؤخذ كله من جميع جوانبه يقول تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة**﴾ [البقرة: ٢٠٨]، ولم يكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تقسيم للدين إلى أصل وفرع أو قشور ولباب، فديننا أصل لا فرع فيه، ولب لا قشر فيه، وإنما هو أحكام خمسة: واجب وحرام ومندوب ومكروه ومباح وكلها أصول.

هذا ولو استقصيت في ذكر الأدلة من الكتاب والسنة لبلغت المئات، ولكن

حسب مريد الحق آية من كتاب اللَّه أو حديث من حديث رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم، فإذا كانت أوامر اللَّه وأوامر رسول اللَّه قشورًا فما هي اللباب التي تعنون؟ نبئوني بعلم إن كنتم صادقين: هل اللباب الجرائد والمجلات؟ أم الأناشيد والتمثيليات؟ أم الرحلات إلى شواطئ البحار من أجل إنشاء جيل لا يتمسك بالقشور على حد زعمكم ويتمسك باللباب؟ أي لباب تعنون؟

إن هذا السؤال موجه إلى كل من يقسمون الدين إلى قشور ولباب، إنني أطالبكم أجمعين بأن تثبتوا بالتصريح عبر مؤلف عن هذا اللباب الذي تدعون إليه، وينشر ذلك المؤلف في جميع البلاد، وأنا متأكد أنكم لا تستطيعون ذلك؛ فإنكم لم تَدَعُوا شيئًا من أمور الدين إلا جعلتموه من القشور سوى أنكم تَدْعُون إلى إنشاء دولة إسلامية ولكنكم لم توفقوا.

حتى التوحيد قد أصبح عندكم من القشور[1]، وهو أساس الدين، وقد ظل النبي يدعو إليه حتى توفاه اللَّه، وعندي دليل واضح على أنكم تجعلون التوحيد من القشور، وهو ما حدثني به الأخ مهدي الضبيبي وعقيل بن محمد بن زيد كلاهما عن محمد المهدي، قال مهدي: اتصلت هاتفيًا بالأخ محمد بن محمد المهدي إلى أب في شأن مسرحية أقيمت في أحد المعاهد، وهي: أنهم أتوا برجل صوفي يعمل أعمالًا شركية وبيده مسبحة، وأتوا بآخر له ثوب قصير وهيئته هيئة سني فذهب يصرخ على ذلك الصوفي المشرك، ويأتيه بالكلام القاسي، وبعد حين وهم على هذه الحال، إذ أتاهم رجل يلبس البنطلون والكرفتة، ثم احتضن الاثنين، ثم قال لهم: أنتم ماكثون حول هذا الأمر وأعداء الإسلام يتربصون بالمسلمين، ويريدون قلع الدين من جذوره، فاصطلحوا، وأثنوا عليه خيرًا، وكلٌّ من مهدي وعقيل أفاد أن الأخ محمد المهدي رأى تلك المسرحية.

---

(١) بل أصبح التوحيد عندهم بلبلة فكرية وفلسفة باهتة.

اللَّه أكبر أهكذا يَفعل بالتوحيد من يزعمون أنهم الجماعة والفرقة الناجية ؟ ألم تجدوا شيئًا تسخرون به من أهل السنة غير التوحيد ؟ أما كفاكم أن تسخروا من أهل السنة في شخصياتهم فقلتم : إنهم سخفاء ، بلهاء ، حتى ذهبتم تسخرون من عقائدهم ؟ أبيتم إلا أن يكون خصمكم هو اللَّه سبحانه ، شيء آخر وهو أنكم لم تُوردوا الحقيقة في هذا الشأن إذ إن شدة التحمس ، إنما توجد لدى الناشئين المبتدئين ، أما الممارسين فلا ، ثم إنكم أظهرتم التوحيد بتعبير سيئ ، وهكذا من أراد أن يذم شيئًا فليخرجه مع إساءة في التعبير ، وهكذا كان يفعل الكفار برسل اللَّه صلى اللَّه عليهم أجمعين ، وقد أحسن من قال :

تقول هذا إنتاج النحل تمدحه ... وإن تشأ قلت ذا قيء الزنابير
مدحًا وذمًّا وما جاوزت وصفهما ... والحق قد يعتريه سوء تعبير

ثم أرجع فأقول : هل كبراؤهم يعلمون بهذا أم لا يعلمون ؟ فإن كانوا يعلمون فتلك واللَّه الطامة الكبرى ، وإن كانوا لا يعلمون فكيف استطاع الفرد أن يتصرف في النظام العالمي ؟

إذا كان ذاك فأنا أعود إلى النداء الأول ، وأكرر النداء وسوف نطالبكم من فوق المنابر – إن شاء اللَّه – : أي لباب تعنون ؟ نطالبكم أن تفصحوا عن الفرق بين القشور واللباب مسألة مسألة مصحوبة بالأدلة الشرعية ، حتى نعرف أتفهمون ما تقولون أم لا تفهمون .

رمتني بدائها وانسلت :

إن الاهتمام بالقشور وإهمال اللباب الذي رميتمونا به هو صفتكم أنتم ، وليس معنى هذا أنني أقول بتقسيم الدين إلى قشور ولباب ، ولكن أعني تقديم غير الأهم على الأهم ، وإهمال أسس الدين عملًا ودعوة ، أما تقديم غير الأهم على الأهم فهو أنكم بدأتم من حيث لم يبتدأ رسول اللَّه ، فإنه لم يبدأ بإنشاء الدولة وإنما بدأ بغرس العقيدة ، وقد سلكتم في هذا الشأن خلاف ما ذهب إليه رسول اللَّه صلى اللَّه

عليه وعلى آله وسلم، والثاني هو أنكم تفرطون في أسس الدين من دعوة إلى التوحيد وإلى التمسك بالكتاب والسنة، وتهتمون بأشياء مزرية لا يجوز لداعية إلى اللَّه أن يغمس فيها أنملة من أنامله فضلًا عن أن يخوض فيها، مثال ذلك: ما أخبرنا به الأخ مهدي الضبيبي؛ أنها أقيمت مسرحية في مخيم في عمران اجتمع فيها شباب المعاهد من تلك الديار وهو حاضر عام ١٩٨٣م - ١٤٠٣هـ شارك فيها بعض الشباب من تلك النواحي، فكان من أولئك الشباب من قام بدور امرأة فألبسوه كساء امرأة وألبسوه خمارًا وذهب يمثل في دور امرأة، والمسرحية الأخرى في نفس المخيم: أنهم أتوا بشباب جعلوا أنفسهم يهودًا بزنانيرهم. وفي معهد غراز فيما أخبرنا به الأخ أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي حفظه اللَّه قال بأنهم جعلوا واحدًا منهم يمثل في دور الشيطان ويريهم كيف يخدعهم ويوقعهم في المعاصي.

أهكذا يفعل بشباب المسلمين؟ أهكذا الاحتفاظ بالشباب؟ أهكذا التمسك باللباب يا أولي الألباب؟ أيها المسكين تُرِي الناس كيف يخدعهم الشيطان؟ وأنت كيف خدعك حتى جعلك تسمي نفسك شيطانًا؟ لعله غرَّك بأسلوب الدعوة، لو لم يكن في فعلكم هذا إلا الكذب لكفى به قبحًا وجرمًا، فكيف وهو واقع في حديث رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «**أبغض الناس إلى اللَّه ثلاثة: رجل قتله نبيٌّ أو قتل نبيًا، وإمام ضلالة، ومُمَثِّل من الممثلين**». رواه أحمد من حديث ابن مسعود وسنده حسن، وأحاديث النهي عن التشبه بالنساء كثيرة معروفة لديكم. أهذه هي اللباب التي تدعون إليها؟

نصيحـــة:

إخواني في اللَّه إن اللَّه سبحانه وتعالى يقول: ﴿**ألم يأْنِ للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر اللَّه وما نزل من الحق**﴾ [الحديد: ١٦]، إخواني لتعلموا أن كلًّا منا سيلقى اللَّه وحده ولن يدافع عنه زيد ولا عمرو، ولا تقبل منه

المعاذير، وسوف يسألنا اللَّه عن دينه، يقول تعالى: ﴿**فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين**﴾ [الأعراف: ٦]، ويقول: ﴿**ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين**﴾ [القصص: ٦٥].

نسأل اللَّه أن يهدينا إلى الصراط المستقيم فما سينفعنا يوم القيامة إذا سئلنا عن أوامر اللَّه وأوامر رسوله: لماذا تركت العمل به؟ فتقول: من أجل أسلوب الدعوة، واللَّه لن يجدي ولن ينفع، وإنما ينفع الجد والتشمير والعزم على العمل بالكتاب والسنة وقد أحسن من قال:

خذوا بالجد فيها واستجيبوا   فما بالعجز يدرك ما يرام

* * *

شماتة أعداء الإسلام

إنني أعتقد أن أعداء الإسلام يفرحون بمثل هذه الردود التي تصدر من المسلمين بعضهم على بعض؛ لأن مراد أعداء الإسلام تفريق كلمة المسلمين وتشتيت جمعهم وشق عصاهم.

فأقول: مهلًا يا أعداء الإسلام، إننا نعتقد أن أعداء الإسلام مهما اختلفت طوائفهم، وتعددت نحلهم، أنهم أعداء للإسلام، وإن أظهروا لنا التودد، أو العداوة فيما بينهم، ولو تحاربوا؛ فالكفر عندنا ملة واحدة، كذلك أعداء الإسلام ليعلموا أن ملة المسلمين واحدة، مهما اختلفت مذاهبهم، واعتقادنا أجمعين: أن الكافر عدو للجميع، ليس عدوًّا لفرقةٍ دون أخرى، فإننا على استعداد على أن نصطلح مع إخواننا المسلمين في أي لحظة، وإنما هذا من النصح والتقويم كما في الحديث: «**انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا**». قال: أرأيتٍ إن كان ظالمًا كيف نُصْرَتُه؟ قال: «**أن تحجزه عن الظلم فإن ذلك نصره**».

ونحن حين نرد على إنسان من المسلمين؛ فإننا لا نتجاوز الحد؛ بل ننزله منزلته، كما يقول اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿**ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا**﴾ [المائدة: ٨]، ولا نقصد الشماتة والتعيير، ولكننا نحرص على أن نقوِّم إخواننا، وندافع عن ديننا، فلا يطمع أعداء الإسلام في شيء، ولن نكون آلة لهم ولا لغيرهم إن شاء اللَّه.

* * *



الجـرح والتعـديـل

الجرح والتعديل يعتبر نعمة من أوفر نعم اللَّه على أمة محمد، إذ لو لم يكن هناك علماء يجرحون الرجال ويعدلونهم لما علمنا صحة حديث من ضعفه، ولكانت سنة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم مدسوس فيها الصدق والكذب، ولولا الجرح والتعديل لقال من شاء ما شاء، ولكن علماء السنة رحمهم اللَّه تعالى غَرْبَلوا الرجال ونخلوهم نخلًا، حتى ميزوا بين من هو أهل للتحمل ومن ليس أهلًا للتحمل، وقد قيض اللَّه لأهل العصر أخانا عقيل بن محمد بن زيد، فإنه الآن يقوم بتأليف كتاب «الجرح والتعديل لرجال العصر»[(١)]

---

(١) كان هذا قديمًا يوم أن كان مقيمًا بصعدة ثم ترك الآن، والحقيقة أن عقيلًا المقطري قد مر بأطوار مختلفة في الدعوة إلى اللَّه أحب أن أبينها فأقول وباللَّه التوفيق:

كانت جمعية الحكمة قبل أن تنشأ اسمها «صندوق»، وكان القائم على ذلك الصندوق محمد بن عبد الجليل وعبد القادر الشيباني، وكنا نسمع منهم ترديد كلمة تنظيم، وكنا في بداية الطلب لا نعلم أبعاد هذه الكلمة، وكان القائم على ذلك التنظيم محمد بن محمد مهدي وعبد العزيز الدبعي، وهذان في أب وتعز، وكان عقيل يمثلهما في الحديدة، وكان إمام مسجد الإيمان وخطيبه، وكان يبايع الناس هناك وممن أخبرونا أنهم بايعوه: محمد بن سالم الزبيدي على أنه رفض في الحال وأحمد بن حسن الوصابي، ثم انتقل إلى الشيخ مقبل في صعدة ليطلب العلم مظهرًا أنه تاب إلى اللَّه عز وجل - وأظنه كان صادقًا - مما كان يفعله، وعاش في دماج حياة علمية فيها الصبر والصدق حسبما كنا نشاهده، وإني لأذكره وهو ساكن في بيت من الطين، السيل ينزل من درجه وهو وشيك السقوط، لو صببت شربة ماء في سطحه خرت إلى داخل حجره، وله فيه غرفة يعيش فيها مع أولاده وهو صابر على ذلك مع أنه كان يعيش في الحديدة في بيت منيع قوي يتكون من ثلاثة أدوار في الغرف المكيفة، ولكنه صبر على ذلك لطلب العلم، ثم يسر اللَّه له الانتقال من ذلك البيت السيئ والحمد للَّه، وكان له في يومه خمسة عشر درسًا ما بين البيت والمسجد، وإني لأذكر يومًا كان الشيخ مقبل في سفر وكان يقرأ علينا في الدرس حديث الإفك فخنقته العبرة باكيًا، وأتذكر أيضًا حين كان محمد بن موسى البيضاني يتخطف طلاب الشيخ مقبل ويحثهم لأخذ شهادة المعادلة حرصًا على الوظائف وطلب الرزق، وذلك في =

= غياب الشيخ أيضًا ؛ فقام عقيل وخطب خطبة جمعة في التوكل على اللَّه عز وجل وأن الرزق من عنده تبارك وتعالى . أقول هذا إنصافًا للرجل وإن كنت غير راضٍ عنه الآن لما نرى ونسمع ونقرأ كما سيأتي إن شاء اللَّه تعالى .

ثم جاء محمد مهدي وعبد العزيز الدبعي يلحان في نقل عقيل إلى تعز ليقيم الدعوة إلى اللَّه هناك ، ووافق عقيل والشيخ على ذهابه ، وقلت له في حينها : يا عقيل أنا لا أظنهم راغبين في علمك ، اللَّه أعلم ماذا يريدون منك ، وكان يقول وهو في دماج (صعدة) تنظيمهم هذا (خرا) يعني التنظيم الذي عليه محمد مهدي ومن معه وكان هو عليه قبل ، ثم انتقل إلى تعز وانتقلت أنا إلى مأرب بعده بمدة يسيرة ، وأنشئت الجمعية وصار من كبار القائمين عليها فاتصلت به وقلت له : ما هذا الذي صنعت ؟ قال : إن الجمعية لا علاقة لها بتنظيمهم (الخرا) .

ثم تتابعت السنون والأيام وظهرت له مقالات في جواز البيعة والإمارة وغير ذلك من الأشياء ، وقبل شهور حصلت زيارة للشيخ مقبل بن هادي لبعض المناطق اليمنية وفي تعز التقيت بعقيل وذكرته بكلامه : ألم تكن تقول إن تنظيمهم (خرا) ماذا جرى ؟ ، ثم جرى بيني وبينه كلام ثم قال : إن الشيخ مقبلًا أفتى بالعهد وأبى أن يتراجع ، فالتقينا أمام الشيخ في بيت الأخ مجاهد الوصابي وكان الشيخ مدعوًّا عنده لطعام العشاء فتبعنا عقيل من غير دعوة ، وكان مجاهد يريد إرجاعه ومنعه من دخول البيت ، ولكن أبى عليه الشيخ مقبل ، وطرحت السؤال على الشيخ في البيت وهو أنني قلت : يا شيخ إن عقيلًا يقول : إنك أفتيت بجواز العهود ولم تتراجع . ثم حاول عقيل إدخال موضوع آخر ليصرف الشيخ عن الجواب ، ولكن أجاب الشيخ وبحمد للَّه جرد الشيخ نفسه عن دعايتهم تلك ، ثم قال هو للشيخ : يا شيخ انصحني فنصحه الشيخ مقبل بترك الجمعية ، وقال له كلمة واللَّه ما نسيتها فقال له : انظر إلى قلبك الآن هل هو كما كان ، وكان كلام كثير في تلك الليلة الثانية كانت جلسة أخرى أكبر منها لم أكن موجودًا فيها وَعَد عقيل فيها أنه سوف يترك الجمعية .

ثم انتقل الشيخ مقبل إلى أب ثم إلى مفرق حبيش لدينا ، وفي تلك الليلة جاء بعض الإخوة يريدون تزكية لعقيل من الشيخ مقبل حيث وعقيل سوف يترك الجمعية فمن أين له مالٌ يسير به وينفقه على عياله ، فعارضت ذلك وأقنعت الشيخ بعدم تلبية رغبتهم وقلت له : إن مقالته في مشروعية الإمارة في الدعوة قبل شهر فكيف تكون صورتك عند الناس وتزكيتك لعقيل بعد مقالته تلك بشهر واحد ؟ ثم إننا لم نتبين صدق توبته ، وحاول الأخ جاهدًا من هنا وهناك وأقنعت كل من كان يظنه وسيلة إلى الشيخ وفي الأخير أظهر الاقتناع بما قلناه إلا أنه قال : من أين لعقيل المال ؟ فقلت له : يصبر على الفقر كما صبر على الدعوة على خلاف السنة من تنظيم حزبي وبيعة وإمارة وغيرها ، وأيدنا نحن الموجودين الاستعداد لبذل شيء تعاونًا منه معه ، ثم أخبرني أبو الحسن المأربي أنه التزم هو والشيخ مقبل أن يدفعا له راتبه الذي يتلقاه من الجمعية ومقداره ثمانية آلاف ريال . =

وليس فعلهم هذا غيبة ، فإن الرسول صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم قد فعل ذلك ، أعني أن الرسول صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم جرح أناسًا من أصحابه ، وسوف نورد الأدلة على ذلك إن شاء اللّٰه ، وإنه لواجب على أهل العلم أن يعودوا إلى الجرح والتعديل حتى يُعْرف من هو الذي يستحق أن يُقْبل منه ومن هو الذي لا يستحق ، ولكن يلزم على الذي يعمل في الجرح والتعديل أن يلزم العدالة ، ولا يجرح من خالف ما هو عليه ؛ بل إن انتقد شيئًا لزمه أن يذكر الدليل على انتقاده ، وإلا فانتقاده باطل ، ويلزمه أيضًا أن يذكر محاسن الرجل إذا أراد أن يذكر المذام(*) .

= وبعد شهر خرج الشيخ مقبل لرحلته الأخرى إلى المناطق الجنوبية مارًّا بيعدان - إحدى نواحي أب - وفاء منه بوعدٍ لهم ، وفي بعدان جاء الخبر من عند عقيل أنه سوف يترك الجمعية لا لأنها حزبية وإنما لأنها أشغلته وضيعت وقته ، وإن نسيت فلا أنسى أن الشيخ قال له وأنا حاضر : يا عقيل لم لا يكون عندك طلاب من خارج البلاد ويسكنون عندكم ويطبخون لأنفسهم ؟ فقال : الجمعية ليست مستعدة أن تنفق عليهم .

هذه شهادة من عقيل وشهد شاهد من أهله ، فيا ليت شعري لم تلك الشعارات أنهم ينفقون على طلاب العلم ؟ ثم انقطعت أخباره وصمت دهرًا ونطق هجرًا أخرج ثلاثة أشرطة مشتركًا فيها مع محمد المهدي في محاضرتين : الأولى في تعز كان المقدم لها عبد العزيز الدبعي ، والأخرى في أب كان المقدم لها عبد اللّٰه بن غالب الحميري ،وباختصار كانت المحاضرتان اختصارًا لما يحويه كتاب « الخطوط العريضة لأدعياء السلفية الجديدة » ، ومن فضل اللّٰه أن تلك الأشرطة لم يرغب في بيعها غير مكتبة الشوكاني في أب التي هي مكتبتهم ، أما التسجيلات الأخرى فقد أعرضت عنها والحمد اللّٰه وما أعلمها بيعت في غير أبْ .

وليس هذا آخر ما يمكن قولهُ في شأن عقيل .

(*) وليس هذا بلازم ، إلا إذا كانت المحاسن تتعلق بالجهة التي جاء من خلالها الذم ، فإذا كان الرجل عدلًا في دينه لكنه ضعيف في حفظه ، فهذا يبين لأن العدالة مما يتعلق بقبول الرواية وليس الحفظ فقط ، كذلك حتى لا يُظَنَّ بمن ضُعِّفَ بسبب سوء الحفظ أنه يتعمد الكذب فَيُبَيِّنُ ذلك ، أما إذا كانت المحاسن لا علاقة لها بالرواية كأن كان الرجل ضعيفًا في الحديث ، لكن فيه شجاعة أو نجدة أو مروءة فهذا لا يلزم ذكره عند ذكر الجرح ، وهذا الذي جرى عليه عمل أهل الحديث إذا ضعفوا الرجل ربما أطلقوا الجرح مع بيان العدالة ، وربما أطلقوا الجرح مع عدم التعرض للعدالة أو المحاسن سواء كانت متعلقة بالرواية أو لا واللّٰه أعلم .

وقد ألف الشيخ ربيع بن هادي حفظه اللّٰه رسالة في هذا المعنى . فلتراجع .

(مصحح دار الحرمين)

ذكر بعض الأدلة على جواز الجرح والتعديل.

قال الإمام البخاري رحمه اللَّه (ج٢ ص١٦٤):

ثنا عبد اللَّه بن يوسف أخبرنا مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين رضي اللَّه عنها أنها قالت: إن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال في مرضه «**مروا أبا بكر يصلي بالناس**»، قالت عائشة: قلت: إن أبا بكر إذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكاء فَمُر عمر فليصل للناس. فقالت عائشة: فقلت لحفصة قولي له إن أبا بكر إذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكاء فمر عمر فليصل للناس. ففعلت حفصة فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «**مَهْ إنكن لأنتن صواحب يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس**»، فقالت حفصة لعائشة: ما كنت لأصيب منك خيرًا.

قال الإمام مسلم رحمه اللَّه (ج٢ ص١١١٩):

ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا وكيع ثنا سفيان عن أبي بكر بن أبي الجهم بن صخير العدوي قال: سمعت فاطمة بنت قيس تقول: إن زوجها طلقها ثلاثًا فلم يجعل لها رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم سكنى ولا نفقة، قالت: قال لي رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «**إذا حللت فآذنيني**»، فآذنته فخطبها معاوية وأبو جهم وأسامة بن زيد، فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «**أما معاوية فرجل ترب لا مال له، وأما أبو جهم فرجل ضَرَّاب للنساء، ولكن أسامة بن زيد**»، فقالت بيدها هكذا: أسامة! أسامة! فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «**طاعة اللَّه وطاعة رسوله خير لك**»، قالت: فتزوجته فاغتبطت.

قال البخاري رحمه اللَّه (ج٤/ص٤٠٥):

حدثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن هشام عن عروة عن عائشة رضي اللَّه عنها قالت: قالت هند أم معاوية لرسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: إن

أبا سفيان رجل شحيح، فهل عليَّ جناح أن آخذ من ماله سرًّا؟ قال: «**خذي أنت وبنوك ما يكفيك بالمعروف**».

قال البخاري رحمه اللّه (ج١ ص٨٤):

ثنا سليمان بن حرب ثنا شعبة عن واصل الأحدب عن المعرور قال: لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حلة وعلى غلامه حلة، فسألته عن ذلك، فقال: إني ساببت رجلًا فعيرته بأمه، فقال لي النبي رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم: «**يا أبا ذر أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم جعلهم اللّه تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم**».

وقال بعضهم:

الذم ليس بغيبة في ستة ... مُتَظَلِّم ومُعَرِّفٍ ومُحَذِّر
أو مُظْهِرٍ فِسْقًا ومُسْتَفْتٍ ومَنْ ... طَلَبَ الإِعانة في إزالة منكر

تنبيه: أستدل بهذه الأدلة في الجرح والتعديل حتى لا يأتي أحد ممن قل نصيبه من العلم فيقول: إنما هذه غيبة، أو فتح باب فرقة، أو عونًا للشيوعية، أو نحو ذلك، فوضعت هذه الأدلة في هذا الموضع كي يعرف أن الرسول صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم قد فعله.

وقد أرسل لنا الأخ محمد بن محمد المهدي مقالًا يرد فيه على أولئك المائعين، الذين ليس لهم شغل سوى الدفاع عن رغبات النفوس الأمارة بالسوء، ولا طاقة لهم بعزائم الأمور، فقال: بعد حمد اللّه والصلاة والسلام على رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم إن الإسلام يعاني من فريقين، ومظلوم من جماعتين، والجماعتان هما: الخوارج المتشددون، والمرجئة المتكاسلون المتسيبون، وما بين هاتين الفرقتين قوم هم على الصراط المستقيم، وهم من أخذ بالكتاب والسُّنة على ضوء فهم السلف الصالح.

أولئك آبائي فجئني بمثلهم   إذا جمعتنا يا جرير المجامع

فهم القوم الذين لا يضل متبعهم، وقد ضل من خالف نهجهم، إننا نأسف جد الأسف أن يكون عاصم عجيلة وهو الذي يرشد العقل المسلم بهذه الميوعة الواضحة، وبهذا التقليد الذي ما زاد فيه شيئًا على ما كتبه الغزالي في كتابه «هموم داعية»، والصابوني في رسالته «صلاة التراويح»، وعبد الفتاح أبو غدة في بعض مقالاته ومحاضراته وغيرهم من مبغضي السلفية، أو غيرهم من الصحفيين الذين يهاجمون الإسلام وأهله باسم الاعتدال ومحاربة التطرف، فهل كَمُلت المواضيع التي يحب عاصم أن يظهر بها إلى الساحة لعرض عضلاته، فما بقي عليه إلا أن يغمز بصاحب اللحية وذي الثوب القصير وبالذي يحرم التصوير، مع ما عندهم من الأدلة الصحيحة الصريحة من السُّنة النبوية؟ وهل يظن الدكتور الذي يغتر ببعض الكسالى المائعين عندما يصفقون له وهو يهاجم السلفية في أثناء محاضراته في الجامعة؟ أقول: هل يعتقد أن الجو قد خلا له فيريد أن يبيض ويصفر، وينفر ما شاء أن ينفر:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا   أنيس ولم يسمر بمكة سامر

إن العلماء سيبينون خطأه بالأدلة القاطعة وبالفهم السلفي المنير، لا بفهم سلفية محمد الغزالي صاحب الهموم والمشاكل، ولا بفهم المرجئة ومتعصبي الخلف.

إن هناك كتبًا ستظهر تباعًا لمعرفة ما هو التطرف والتشدد والتزمت.. إلخ، قاموس الألفاظ المحاربة للمتدينين ليعرف الناس ما معنى هذه الألفاظ، وما مراد المروجين لها، وإذا كان موقف أعداء الإسلام واضحًا لا يحتاج إلى استفسار عنه، فإننا قد ذهلنا من صدور هذا من الغزالي وأمثاله كعاصم الدكتور في وقت يُحارب الشباب الصالحون لمجرد تسننهم وتدينهم.

إن غلو الخوارج مرفوض إذ فيه تكفير للمسلمين واستباحة لدماء وأموال المصلين الصائمين وخروج عن فهم أسلافنا الصالحين، ونعتبره فهمًا رديئًا، ولكن

ما ذنب من يعمل بما وصله من الكتاب والسُّنة ، ويحرم ما حرمه علماء السنة أو أكثرهم أو بعضهم بدليل صحيح صريح ؟ ما ذنبه حتى يهاجمه الأستاذ المربي المنور للعقل ؟ ألا فليعلم الدكتور أن هذا الكلام الذي طرحه في بعض فصول كتابه ما زاده إلا سوءًا ، وكل من قرأه وعنده بصيص من نور ، قال : لقد شاب كتابه بهذه الكلمات التي نقلها من الصحف والمجلات وصغار الكتيبات التي جمعت من مجموع مقالات .

إن الشباب السلفي لينظر إلى هذا الغثاء في الأسواق والهراء في المكتبات متعجبًا من أن يتصدى للترشيد المسلم والتعديل السلفي المتطرف من هو أبعد الناس عن علم وحلم وصبر وأسلوب السلف ، إن عقلًا مبهورًا بالحضارة المادية لجدير بأن يتعلم من السلفيين كيف تغربل الحضارات ، وكيف تناقش الخوارج وسائر الجماعات ، كيف يرشد السلفيون إلى الحذر من تشدد الخوارج ، وهم القوم الذين يغربلون أفكار كل الفرق من أقصى الخوارج إلى أقصى المرجئة ، ومن أقصى المعطلة إلى أقصى المشبهة ، ومن أقصى أصحاب الحديث إلى أقصى أصحاب الرأي ، هم القوم الذين يعرفون هذه الفرق ويردون على أخطائها حتى أصبحوا حديث بعض الجماعات والأحزاب الإسلامية من أنهم شغلوا أنفسهم بفرق قد مضى وقتها وانقضى وأصبحت في خبر كان ، فكيف يا دكتور سيقعون في حبائلها ؟

إن كون الغزالي أو الصابوني أو عجيلة أو عبد الصبور مرزوق وغيرهم من كتاب وصحفيين يردون على الخوارج أو على المتشددين من حيث هم أمر لا نملك منعهم منه ، وكل منصف يكره التشدد ، ويميل إلى الاعتدال ، ولكن على أساس أن تبين ما هو التشدد لا على أن تهاجم من أطلق لحيته أو ترك التصوير أو ترك الزي الغربي ، فهذا ليس متشددًا ، إن هناك جامعًا بين هؤلاء المشاغبين ضد السلفية ؛ فالسلفيون مثلًا يحاربون التأويل فيعاديهم المأولون ، وهم لا يرتضون التقليد لأصحاب المذاهب ، فعاداهم المقلدون ، ويرفضون التسيب فناوأهم

المتسيبون ؛ فهؤلاء أجمعوا أمرهم على مواجهة السلفية ، هذا إضافة إلى أن هناك كُتَّابًا حاقدين على الإسلام ، فهم يهاجمون أهله بحجة الرد على التطرف .

كان هذا الكلام من محمد المهدي قديمًا ، والحق أن محمدًا المهدي عنده علم ، ويستطيع أن يفيد نفسه ويفيد غيره لو عكف على طلب العلم ونشره ، ولكانت أب وضواحيها ونواحيها مشعلًا من مشاعل السنة ومنبرًا عريضًا من منابرها ، وقد رزقه اللَّه الشعر فهو يقوله بجدارة ،وقد كان الشيخ مقبل يسميه شاعر الدعوة ، فيا ليت محمدًا صان نفسه ، فلقد رأينا منه ما لم يكن في حسباننا ، سمعنا منه كلامًا لو سمعه هو قبل بضع سنين من أحدٍ من أعداء السنة لاستشاط غيظًا ورد عليه ردًّا علميًّا بليغًا ، إن شاء نظمًا وإن شاء نثرًا وإن شاء بهما .

قد ردَّ محمد المهدي على عاصم عجيلة هنا وكلمته طيبة ، ولكنه قد فاق عجيلة في تهجمه على أهل السُّنة من بعد ذلك ، إن مجلة الفرقان الصادرة في أبْ التي أنشأها محمد المهدي أصبحت لسانًا لكل من يريد أن يتكلم على الشيخ مقبل ومن كان معه وعلى منهجه ، وسأضرب مثالًا واحدًا ، ثم يُقارن كل واحد منا بين كلامه وكلام عاصم عجيلة وأيهما أغلظ .

قال في قصيدة له قاصدًا الشيخ مقبلًا - حفظه اللَّه :

وكم من مُحْدِثٍ في الناس حزبًا	يحركه لشغل المرشدينا
وما آذى اليهود ولا مجوسًا	ولا البابا كذاك الملحدينا
وإن آذهموا سرًّا فجهرًا	يعادي صالحي المسلمينا
فكم من خطبة وكذا شريط	وتأليف له حينًا فحينا
وكم يعطي الصغار بلا حساب	طعونًا للدعاة فصار دينا
ولم يعطوا من الآداب لكن	لقد ملأهم حقدًا دفينا
وليت البغض للكفار لكن	على العلماء أهل الفضل فينا
إذا غلب التعصب عقل حر	يعطله ويقلبه جنونا

هذه الأبيات نشرت في العدد السادس من مجلة الفرقان ، هذا وقد نشرت له قصيدة قبل هذه يمدح الشيخ فيها وعنوانها (مرحبًا بالأئمة العلماء) .
ومطلعها :

مرحبًا بالأئمة العلماء   وبدور التمام في الظلماء

فيا ليت شعري ما الذي قلب المزاج وغير الأمواج ،والشيخ الممدوح والمذموم واحد ، والشاعر واحد يا محمد المهدي :

مدحت الشيخ في الستين بيتًا   وفي السبعين كنتم شاتمينا
نسيتم أو نقضتم ما نظمتم   ووجهًا كان مبغوضًا مهينا
إذا الحرباء كان دليل قوم   فبئس الدين للحرباء دينا
وكنتم ناصحين بكل حلم   وكنتم للعلوم مشجعينا
وقد كنا على نهج وحتى   رأينا منكم العجب المبينا
أما جاك الحياء بحر وجه   أما تخشى إله العالمينا
فليت الشعر لم يسعفك بيتًا   وإن الصمت كان بكم قمينا
زعمتم أن شيخي ليس يؤذي   مجوسًا أو يهودًا كافرينا
نسيتم سفره (سيف المنايا)[1]   سيوف اللّه تفني الجاحدينا
وإلحاد الخميني في أناس   أرادوا الدين لعبة لاعبينا
وفي القول الأمين قرأت قولًا   كتابًا يفضح المذبذبينا
وكم من خطبة من فوق عود   يهز بها عروش الظالمينا
ومخرجها وقامعهم جميعًا   ويتبعها صراع المعتدينا[2]
(رياض الخلد)[3] مع ما قد حوته   جميع الكتب تدريها يقينا

(١) إشارة إلى « السيوف الباترة لإلحاد الشيوعية الكافرة » .

(٢) إشارة إلى « المخرج من الفتنة » ، و« قمع المعاند » ، و« المصارعة » ، وهي كتب مطبوعة للشيخ حفظه اللّه .

(٣) إشارة إلى « كتاب رياض الجنة في الرد على أعداء السُّنة » طبع مرارًا .

فبعثي شيوعي تلظى قلوبهم كذاك الناصرونا
وعباد الصليب لهم نصيب كذاك المشركون الظالمونا
ومن جاء بالتحزب قد أتاه من الأقوال ما فيه كفينا
ومن للابتداع يشيد ركنًا سيجدع أنفه كالسابقينا
ويا مهدي بجبلة قد رأينا نصارى للضلال مبشرينا
فكم سجلت فيهم من شريط كذا كتبًا بدور الناشرينا
وكم قد قلت فيهم من مقال إذ الفرقان تجعلها سخينا
على طلاب علم أو شيوخ وبالفرقان لسنا معجبينا
رميت الشيخ بالبهتان أنه يغذي صحبه الحقد الدفينا
فلا، فالآخذون العلم عنه رأيناهم رجالًا صالحينا
وفي شام وفي يمن ونجد وأصحاب الفضيلة أجمعينا
يجلُّون ابن هادي ليس منهم يعادي نهجه كالمعتدينا
وإن أثبت لي بخلاف شخص فحزبي يعادي السالكينا
رمت بالداء فوقي واستقلت وإن الداء داء القاذفينا

هذا مع العلم أن الشيخ يتكلم فيك وفي جمعيتك من قبل أن تمدحه ومن بعدما هجوته، ثم أسألك يا محمد المهدي: أتشهد للّٰه أن الشيخ مقبلًا ما آذى اليهود ولا النصارى ولا المجوس؟ أنسيت كتاب «السيوف الباترة لإلحاد الشيوعية الكافرة»، و«القول الأمين»؟ وأن الشيخ من أوائل من تكلم عن البعثيين كما في «المخرج من الفتنة»، وهو الذي فضح الشيعة في كتبه: «رياض الجنة»، و «الإلحاد الخميني في أرض الحرمين»، و«إرشاد ذوي الفطن»، ومعلوم أن الشيخ هو الذي فضح الحزبيات في اليمن وغير اليمن بجميع أشكالها وألوانها، وهو الذي يتكلم بما يجبن عن قول بعضه كثير من الدعاة.

يا أخانا محمد إن بجوارك في مدينة جبلة نصارى يدعون إلى النصرانية، فكم خطبة خطبتِ فيهم؟ وكم شريطًا في التسجيلات لك عنهم؟ وكم كتابًا في دور

النشر لك عنهم؟ بل كم قصيدة حذرت بها عنهم؟ بإمكان غيرك أن يرد كلامك عليك.

قلت بأن الشيخ لم يعلم تلاميذه الآداب وإنما علمهم الأحقاد، أترى محمد الإمام وأبا الحسن وأبا إبراهيم محمد بن عبد الوهاب ومصطفى بن العدوي وغيرهم من مئات، بل آلاف طلبة العلم، أتراهم تخرجوا من عنده بعد أن امتلئوا حقداً أم بعد أن امتلئوا علمًا.

ثم يا ترى هل كلامك هذا بيان وحل لذلك الإشكال الذي اعترانا في معرفة سبب السيل الجارف من الشتائم من قبلك ومن قِبل عقيل وعبد اللّه بن غالب وعمار بن ناشر ضد الشيخ حفظه اللّه، هل هذا ناتج عن دروس الحقد التي أخذتموها عن الشيخ أم اكتسبتموها بعده؟ الظاهر لي - واللّه أعلم - أنكم اكتسبتموها بعد فراقكم له، ودليل ذلك أننا كنا نراكم أبناء له بررة، وودع بعضكم بعضًا بقلوب باكية، ولربما بكت بعض العيون، فهذا يدل على أن الذي درسكم الحقد غيره فينظر من هو يا ترى؟

ودليل آخر أننا نرى طلابه الآخرين مثل الشيخ أبي الحسن وغيره ممن ذكر قبل كلهم على أخلاق فاضلة ونبيلة، فهذا يدل على أنهم لم يتلقوا منه الحقد الدفين.

ومع هذا ننصح أخانا محمد المهدي أن يتقي اللّه عز وجل وأن يحفظ لسانه عما لا يرضي اللّه عز وجل، ولا أقول له اعمل حسب مراد فلان وفلان، ولكن أقول: اعمل بما تعلمه أنت من شرع اللّه، فأنت قادر على تمييز الحق من الباطل، نسأل اللّه لنا ولك السلامة.

هذه قصيدة لأخينا في اللّه أحمد المعلم - حفظه اللّه - يبين فيها دعوة أهل السُّنة ويدافع عنهم، وعنوانها: (هذه دعوتنا وعقيدتنا):

اللّه أكبرُ في الدفاعِ سأبتدي   وهو المعينُ على نجاحِ المقصدِ
وهو الذي نصر النبيَّ محمدًا   وسينصرُ المتبعين لأحمدِ

وبه أصول على جميعِ خُصومنا ... وأعدُّه عَونًا على مَن يعتدي
سأسلُّ سهمًا من كنانةِ وَحيِهِ ... وبه أشدُّ على كتائبِ حُسَّدي
وبه سأجدعُ أنفَ كلِّ مُكابرٍ ... وبه سأرصُدُ للكَفورِ الملحدِ
وسأستجيرُ بذي الجلالِ وذي العُلا ... لا لن أُضامَ إذا استجرتُ بسيدي
وسأستمدُ العون منه على الذي ... لمز الأحبَّةَ بالكلام المفسدِ
حتى أشتِّتَ شملهم بأدلَّةٍ ... مثل الصواعق في السحاب الأسودِ
وبنورِ وحي اللَّه أكشفُ جهلَهم ... حتى يَبِينَ على رءوس المشهدِ
لا تلمزونا يا خفافيشَ الدُّجا ... بتطرُّفٍ وتسرُّعٍ وتشدُّدِ
لا تقذفونا بالشذوذِ فإننا ... سرنا على نهجِ الخليلِ محمدِ
ولكلِّ قولٍ نستدلُّ بآيةٍ ... أو بالحديثِ المستقيمِ المسندِ
والنسخَ نعرفُ والعموم وإننا ... متفطِّنون لمطلقٍ ومقيَّدِ
ونصوص وحي اللَّه نُتقِنُ فهمَها ... لا تحسبَون الفهمَ كالرأيِ الردي
وإذا تعارضتِ النصوصُ فإننا ... بأصولِ سادتِنا الأئمةِ نهتدي
ونحاربُ التقليدَ طولَ زمانِنا ... معَ حبِّنا للعالمِ المتجردِ
وكذا الأئمةُ حبُّهم متمكنٌ ... من كلِّ نفسٍ يا بريةُ فاشهدي
وترِقُّ أنفسنا لرؤية من غدا ... في ربقةِ التقليد شبهَ مقيَّدِ
إنا نرى التقليد داءً قاتلًا ... حجب العقولَ عنِ الطريقِ الأرشدِ
جعل الطريقَ على المقلِّد حالكًا ... فترى المقلدَ تائهًا لا يهتدي
فلذا بدأنا في اجتثاثِ جذورِهِ ... من كلِّ قلبٍ خائفٍ متردِّدِ
ولسوف نُدْمِلُ داءَهُ وجراحَهُ ... بمراهمِ الوحي الشريفِ المرشدِ
ندعو إلى التوحيدِ طُولَ حياتنا ... في كلِّ حينٍ في الخَفا والمشهدِ
ونحاربُ الشركَ الخبيثَ وأهلَهُ ... حربًا ضَرُوسًا باللسانِ وباليدِ
وكذلك البدعُ الخبيثةُ كلُّها ... نقضي عليها دونَ بابِ المسجدِ
هذي طريقتُنا وهذا نهجُنا ... فَعَلامَ أنتم دونَنا بالمرصدِ
لم تطعنونا وتلمِزونا كأننا ... جئنا برأيٍ للعقيدة مُفسدِ

أَلمذهــبِ ولِـعــادةٍ وحــكــومــةِ ... تـتـهرَّبون من الحديث المسنـدِ
هــذا الحديــثُ تــلألأت أنــوارُهُ ... رغمَ الجهولِ ورغمَ كلِّ مُقلِّدِ
إن كـنـتـمُ تـتـضـررون بـنـورِهِ ... فالشمسُ تطلُعُ رغمَ أنفِ الأرمدِ
باللّه قولوا ما الذي أنكرتموا ... علَّ البريةَ للحقيقةِ تهتدي
هـدَّدتمـونـا بـالمذاهـبِ بـعـدَمـا ... وضحَ الدليلُ فبئس مِن متهددِ
وبـهـتُّـمونا بالـقـبائـحِ كـلِّـهـا ... وعرضتـمـونـا بـالـقـناعِ الأسـودِ
ورفعتـمـونـا لـلـوُلاة تـشـفـيًا ... وفـرحـتـمـوا بـتَـهَـدُدٍ وتـوعُّـدِ
لـكـننا لُـذْنـا بـبـابِ إلـهـنـا ... فأراحنا مِن كلِّ خَصمٍ معتدي
وجَلا الحقيقةَ للملا فخسئتموا ... والسوءُ يظهرُ من خبيثِ المقصدِ
يا معشرَ الإخوان سيروا وأبشروا ... وثُـقـوا بـنـصرِ الـواحـدِ المتـفـرِّدِ
ولِـتـعـلـنـوهـا لـلـبـريـةِ كـلِّـهـا ... إنا بغيرِ محـمـدٍ لا نـقـتـدي
لا نطلبُ الدنيا ولا نسعى لها ... اللّه مقـصـدُنـا ونـعـم المقـصـدِ
لـيـس المناصبَ همُّنا ومرادُنا ... كلَّا ولا ثوبَ الخديعةِ نرتدي
إنا لَنسعى في صلاح نُفوسِنا ... بعلاجِ أنفسنا المريضةِ نبتدي
ونحبُّ أن نهدي البريةَ كلَّها ... نَدْعُ القريبَ قُبَيلَ نُصحِ الأبعدِ
وبـواجـبِ المعروف نأمُر قومَنا ... ونقومُ صفًّا في طريق المفسدِ
لو تُبصِرُ الإخوانَ في حَلْقاتِنا ... مِن عالمٍ أو طالبٍ مسترشدِ
لـرأيـتَ عـلـمًـا واتِّـبـاعًـا صادقًا ... لـلـسـنـة الـغـرَّاء دونَّ تـرددِ
أنـعِـم بـطـلاب الحديـثِ وأهـلِـهِ ... وأجلَّهم عن كلِّ قولٍ مفسدِ
هم زينةُ الدنيا مصابيحُ الهُدَى ... طَلَعوا على الدنيا طلوعَ الغَرقَدِ
وَرِثوا النبيَّ فأحسنوا في إرثِهِ ... وحَمَوهُ مِن كَيدِ الخبيثِ المعتدي
سَعِدوا بِهَدْيِ محمدٍ وكلامِهِ ... وسـواهُـمُ بـكـلامِـهِ لم يَـسْـعَـدِ
والـديـنُ قـال اللّه قـال رسولُهُ ... وهُمُ لِدينِ اللّه أفضلُ مرشدِ
والفقهُ فهمُ النصِّ فهمًا واضحًا ... من غير تحريفٍ وتأويلٍ رَدِي

لا تحسبنَّ الفقهَ متنًا خاليًا ... مِن كلِّ قولٍ للمُشرِّعِ مُسنَدِ
أو قال عالِمُنا وقال إمامُنا ... أو ذاك مَذهَبُ أحمدَ ومحمدِ
هذا كلامٌ ليس فيه هدايةٌ ... من سارَ في تحصيلِهِ لا يَهتدي
فعليك بالوحين لا تَعْدُوهُما ... واسْلُكْ طَريقَهُما بفهمٍ جيِّد
فإذا تعذَّر فهم نصٍّ غامضٍ ... فاسْتَفْتِ أهلَ الذكرِ كالمسترشِدِ
بالبيناتِ وبالزُّبورِ فإنهُ ... مِن أمرِ ربِّك في الكتابِ فجوِّدِ
واعلَمْ بأن مَنِ اقتَدَى بمحمدٍ ... سينالُهُ كيدُ الغُوَاةِ الحُسَّدِ
ويذوق أنواعَ العداوةِ والأذَى ... مِن جاهلٍ ومُكابِرٍ ومُقلِّدِ
فاصْبِرْ عليهِ وكُنْ بربِّكَ وَاثِقًا ... هذا الطريقُ إلى الهُدَى والسُّؤْدَدِ(*)

* * *

(*) وهذا ومما يؤسف له أيضًا أن قائل هذه الأبيات وما فيها من معاني، يتحول ويتغير إلى بوقٍ وداعية من أبواق ودعاة الإخوان المسلمين، كما ذكر ذلك الشيخ مقبل - حفظه اللَّه - في «المخرج من الفتنة» الطبعة الرابعة، و«غارة الأشرطة على أهل الجهل والسفسطة»، وهو تحت الطبع، فلا حول ولا قوة إلا باللَّه، وإنا للَّه وإنا إليه راجعون، ونسأل اللَّه أن يهدينا وإخواننا، وأن يثبتنا على الحق حتى نلقاه، ونعوذ به من الخذلان، أو أن نرد على أعقابنا بعد إذ هدانا، إنه ولي ذلك والقادر عليه. **(مصحح دار الحرمين)**

صفة التنظيم المشروع والممنوع عند أهل السنة

إن أهل السُّنة يعتقدون أن دعوة سلفهم الصالح كانت منظمة ، وسائرة حسب تنظيم دقيق ، ولم يحصل ذلك الخير الكثير الذي حققه اللَّه على أيديهم عشوائيًا ، وكيف استطاعوا أن يُقعِّدوا قواعد علم الحديث ، ويؤصلوا أصوله ، ويتكلموا على رجاله ، ويبينوا صحيحه من ضعيفه ، ويبينوا ما كان معلًّا وما ليس بمعل ، وكيف نظموا أوقاتهم حتى جعلوا بعضها للسماع ، وبعضها للكتابة ، وبعضها للعبادة ، وبعضها للتعليم والدعوة ، وبعضها للنوم ، وبعضها للاكتساب ، ومنهم من أضاف إلى ذلك : مراسلة الإخوان ، ومزاورتهم ، ومناصحتهم ، واتسع وقتهم لذلك كله ، ومنهم من أضاف إلى ذلك : الحج ، والعمرة ، والجهاد ، وغيره ، وكذلك كيف خدموا علم العقيدة ، وكيف نظموا الكلام فيه إلى جهتين : الأولى تقرير وعرض عقيدة أهل السُّنة ، والثاني : الرد على العقائد المبتدعة .

إن طائفة واحد تتصدى لاثنتين وسبعين طائفة داخل الأمة ، وتتصدى لطوائف لا تحصى خارج الأمة عقائديًا وفكريًا وأخلاقيًا ، وبيان تشكيكاتهم للمسلمين وكذبهم على رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم وتحريفهم لآيات القرآن ، وغير ذلك ، لا بد أنها في غاية الدقة من التنظيم .

كيف قَعّدُوا قواعد أصول الفقه وامتصوا تلك الأصول من نصوص الوحيين حتى صارت تلك القواعد كأنها عصارة لهذا الدين ؛ ثم فرعوا على تلك الأصول الفروع التي لا تحصى .

كيف خدموا الفقه فاستنبطوا المسائل من الدلائل ، وأتوا بالأشباه والنظائر ، وصوروا المسائل أمام الناظر ، وضربوا الأمثلة لما قد يحصل من المسائل الفقهية

المعقولة المتوقع حصولها في المستقبل؟ كيف شرحوا القرآن شروحًا موسعة ومختصرة، شروحًا لا تحصى حتى قال الزمخشري متباهيًا بتفسيره «الكشاف» ومشيرًا إلى كثرة التفاسير:

إن التفاسير في الدنيا بلا عدد وليس فيها لعمري مثل كشافي

كيف خدموا علم العربية بجميع أقسامه في علم النحو والصرف والقوافي والمعاني والبيان والبديع وغيره؟

كيف خدموا علم القراءات والتجويد والمخارج، وغير ذلك حتى أنك حين تنظر إلى جهودهم تعلم أنهم هم الآلة التي حفظ اللَّه بهم هذا الدين، قال تعالى: ﴿**إن نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ [الحجر: ٩]، أو يظن ظان أن اللَّه يحفظ دينه بأناسٍ عشوائيين فوضويين على غير تنظيم، إلَّا أن تنظيمهم الأصل فيه أنه تنظيم فردي كل إنسان يسير حسب قدرته من الناحية الصحية والمالية والاجتماعية وغير ذلك، وحسب إرادته إذ لا تتوجه عليه أوامر أن يسير اتجاهًا معينًا.

ودعوة أهل السُّنة في الحاضر تسير حسب سير أسلافهم إلا أنهم يحتاجون أن يوسعوا نطاق بعض الأمور التي كانت موجودة في أسلافهم مثل الزيارات، وتفقد حال إخوانهم، هل حصل لهم بعض الضعف في الالتزام والثبات وطلب العلم والدعوة، وذلك لأن التشكيك في دعوة أهل السُّنة أصبح كثيرًا وكثرة الفتن أيضًا، فكم قد أضلت من أناسٍ، ولربما ضغط المبتدعة على شخص سني فيحتاج إلى زيارة وتشجيع كي يرتدع المبتدعة وتقوى معنوية الأخ ويتجدد نشاطه، كذلك يتفقد من الناحية المالية بقدر المستطاع، وينبغي أن يعلم أن أهل السُّنة قليل ما بأيديهم دائمًا حتى في عصر السلف رحمهم اللَّه، ولهذا السبب كم قد انتكس من طلبة العلم بسبب المال.

فما تدري إلا وهو يطعن في علماء أهل السُّنة، ويمدح أهل البدعة، وأنت لا تكاد تدري أن المال هو الذي أغراه، إلا أنك ترى بين حين وآخر أنهم يختصمون

فيما بينهم ، ثم يظهر عند ذلك أن الخصام على مالٍ لم يتحاسبوا عليه ، من أجل ذلك ينبغي أن يتفقد بعضنا بعضًا بالزيارات والحركة في الدعوة ، حتى يبقى الأخ شاعرًا بأن له إخوة يحيطون به وينصرونه ، وهذا أيضًا الغالب عليه الجهد الفردي ، فالأخ من نفسه يزور إخوانه ، لا أنه بأمر من القيادة التنظيمية ، كذلك يحتاج أهل السنة إلى كثرة التشاور في أمور الدعوة وما يحيط بها ، وكيف التخلص من جميع ما يعيقها ؛ لأن الدعوة في هذا العصر تمر بتحديات عالمية وأعداء كثر لا يحصون ، وتكون المشاورة في كبار طلبة العلم والعلماء القائمين على الدعوة في المناطق ، إلا أن الأشخاص الذين يقومون بتسيير الدعوة على علم وبصيرة هم قليلون ، لذلك قد يظهر شيء من النقص والتقصير يكون سببًا لطعن غيرهم فيهم ، وتشكيك المبتدئ في صحة الدعوة ؛ فينبغي أن يعلم هذا .

وأهل السنة هم أكثر من يخدم الدعوة ، فجهدهم متواصل ليلًا ونهارًا ما بين طلب علم ، ودعوة ، وعبادة ، بخلاف غيرهم ، فذاك في وظيفة ، وذاك مُخَزِّن ، وذلك في لعب كرة وغيرها في النوادي ، وذاك يمثل وينشد ، وغير ذلك ، وذاك لا يعرف الدعوة إلا في المواسم كالانتخابات النيابية أو الطلابية أو المجالس المحلية وغيرها ، إلا أن اللَّه بارك في جهد طلبة العلم ، فنفع اللَّه البلاد والعباد بجهودهم ، والحمد للَّه .

وعلى هذا فعلى أهل كل بلد أن يسيروا دعوتهم حسب قدرتهم وبصيرتهم ، فإذا ذهبت إلى عدن أو إلى الحديدة أو صنعاء أو صعدة أو مأرب أو أب إو غيرها وجدت الجميع في حركة ودعوة وطلب علم ، ويسيرون الدعوة بعقل وتشاورٍ ، أنا أعتبر هذا تنظيمًا كبير .

واعلم أن أي خطأ يظهر في دعوة أهل السنة في مكان ما فهو راجع إلى أحد أمرين : إما أن يكون صدر من مبتدئ غير متعقل لدعوة أهل السنة ، أو صدر دون تشاور ، وأنا لا أعلم أمرًا تشاور فيه أهل السنة ثم خرجوا بأمر يعود ضرره على

الدعوة ، فعلى هذا ينبغي أن يعلم أبناء الدعوة أهمية التشاور مع أهل العلم أو الطلبة المستفيدين ، وأهمية السير بعقل وعلم ، فلا يتعجلوا في أمر حتى يشاوروا فيه من هو أعلم منهم .

وقد قبل أهل السنة التنظيم المفارق لتنظيم الحزبيين لورود الأدلة بذلك ، كسير النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم في غزواته وحجه ، وكذا قوله : « **إن لأهلك عليك حقًّا ، ولزورك عليك حقًّا ، ولنفسك عليك حقًّا** .. » إلخ ، وأما ما يكتبه ذلك الرعد العقيم المسمى برعد كامل مصطفى في مجلة الفرقان اليمنية وكذلك المنتدى في مشروعية التنظيم ، فنحن نحسبه دليلًا لنا ، ونفهم من تلك الأدلة أن الإسلام منظم لا يحتاج إلى تنظيم ، وهو يستدل بها على إيجاد تنظيم جديد فصار فعله اتهامًا للدين بالقصور .

وإنما أنكرنا من التنظيم ما كان على الخلايا والشعب على غرار تنظيم الأحزاب العلمانية ، ومن قبلهم أتى وصفته : أن نعمد إلى مدينة ما فنجعل لها أميرًا ، ثم نقسمها على عدة مناطق ولكل منطقة أمير ، ثم نقسم كل منطقة إلى عدة شعب ولكل شعبة أمير ، ثم نقسم كل شعبة إلى عدة خلايا ، ولكل خلية أمير ، وأمراء الخلايا مرتبطون بأمير الشعبة ، وأمراء الشعب مرتبطون بأمير المنطقة ، وأمراء المناطق مرتبطون بأمير المدينة ، ويتكرر هذا في كل مدينة ، وللقطر أمير يرتبط به أمراء المدن ، ثم يسعون لتكرير ذلك في دول أخرى ليكون لهم أمير عالمي ، ويقصد بهذا التنظيم المغالاة في السرية لكي لا تنكشف خططهم في سباقهم للسلطة ، وليكون هذا التنظيم أسرع في إبلاغ الأتباع بما استجد لدى القيادة في الأخطار مثلًا المحبطة لسعيهم ، والتي قد تعيق سيرهم السياسي أو غير ذلك من الأمور التي يريدون تعميمها على أتباعهم .

وقد ينكر البعض وجود هذا لديه ، وقد يكون صادقًا ، وليس معنى ذلك أنه بريء ، وإنما هو عاجز عن تنفيذه الآن وهو ساعٍ لإيجاده ، وبيان ذلك : أنه حين ينكر وجود ذلك تسأله عن حكم الشرع في هذا التنظيم ، فإن أقره فلا فرق بين

أن يكون قد قدر على تنفيذه أم لم يقدر، وإن أنكره احتمل له الخير، وربما أنكروا هذا التنظيم إنكارًا سطحيًا حفاظًا على نفسيات أتباعهم الجدد، أو يكون ذلك المنكر غير مقرب من موضع القرار، فلا يعلم ماذا يدور لدى القيادة.

واعلم أن هذا فقط هو التنظيم الهيكلي ولهم تنظيمات أخرى في كيفية دعوة الأفراد ونقلهم من طور إلى طور، وكيفية التعامل مع الخصم والمحب غير المنتظم، والتفريق بين الخصم الذي يشكل خطرًا عليهم أم لا، أمور تعلم أنه لا يبقى بعدها علم ولا عبادة.

هذا وقد التقيت بمحمد المهدي في مأرب وكان معه عبد المجيد الريمي وعقيل وعبد العزيز الدبعي، وكان معنا أبو الحسن مصطفى بن إسماعيل السليماني، وحين تكلمنا عن التنظيم قالوا: ليس عندنا تنظيم معد، وبإمكان أي واحد منكم أن يأتي بتنظيم ونحن نسير عليه، والتقيت به بعد سنوات في (أب) وقلت له: ائتونا بتنظيمكم مكتوبًا حتى ننظر إليه أهو موافق لشرع الله فنقبله أم نرده، فقال لي محمد بن محمد المهدي: يا عبد العزيز ما أحد سيعطيك سره.

ولي مع كلامه هذا وقفتان:

الأولى: أنه يطلب منا أن نتبعه دون نقاش؛ بل نكون مسحوبين بزمام نمشي في حيرة لا ندري إلى أين الطريق ولا من أين هو، ويا حبذا لو سأل الأتباع أنفسهم: هل هم يعلمون من أين يبدءون وأين ينتهون أم هم مقلدون؟

الثانية: إن كان هذا التنظيم من الكتاب والسنة فما فيها خفاء، وإن كان هذا التنظيم من غير الكتاب والسنة فلا حاجة بنا إلى ما يخالف كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وأمر آخر وهو أننا نسأل القائلين بالتنظيم العصري الحزبي قبل أن تنظموا أمر الدعوة بتنظيم العلمانيين، هل كان في الإسلام ما يكفي للم شعث المسلمين وتنظيم دعوتهم وسيرهم أم كان الإسلام عاجزًا تاركًا أصحابه عشوائيين

فوضويين؟ فإن قالوا: كان عاجزًا كفروا، وإن قالوا: كان قادرًا على تسيير الدعوة، وأعد الله عز وجل كل ما يصلح أوضاعهم في كل عصر وفي كل مصر؛ قلنا لهم: أرأيتم بعد أن تطور العصر وذهب السلف وجاء الخلف، وكنا في هذا الزمن: هل الإسلام لا يزال كما كان قادرًا على تنظيم أفراده، أم قد أصبح عاجزًا؟ فإن قالوا: قد أصبح عاجزًا، كان كلامهم هذا كفرًا، وإن قالوا: بل لا يزال قادرًا غضًّا، قلنا لهم: فأي التنظيمين أهدى، أَوَ تنظيم الله عز وجل - دين الإسلام - أم تنظيم العلمانيين؟ ولا بد أن يقول: إن دين الإسلام أهدى وأعز وأعلى من كل مستجد ومستحدث، قلنا: أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير، ومن هنا تعلم بُعْدَ تلك التنظيمات عن شرع الله عز وجل.

* * *

الأسئلة والأجوبة

س ١ : قد يقول قائل : إن الناظر إلى كثير من الشباب لا ينثني أن يحكم عليهم بالغلو والتشدد ، وهم يعتبرون تلاميذكم معشر أهل السنة ، وهم المتحمسون لكم ، ونراهم لا شغل لهم غير الطعن في الجماعات والجمعيات والأحزاب والأشخاص مع قلة علمهم وحداثة سنهم ، ونرى منكم شبه تأييد إما بالقول ، وإما بالسكوت عنهم ، فكيف تدفعون عن أنفسكم هذه التهمة ؟

ج : وباللَّه التوفيق إن موقف أهل السنة - والحمد للَّه - واضح في جميع الميادين ، وهذا الذي نراه ويراه غيرنا من الحملة الشرسة من قِبل الشباب ضد الحزبيين كانت بمثابة رد فعل لما يرونه ويسمعونه ويقرءونه من قِبل الحزبيين ، والعجيب أن ما يلاقون من شبابنا من حملة شرسة شديدة نحن نلقاه من قادتهم ، فمن الذي قال عن أهل السنة : إنهم قواعد ؟- والقواعد : العجائز - ومن الذي قال عن أهل السنة : إنهم خوالف ؟- والخوالف : النساء - ومن الذي نزل آيات النفاق والمتخلفين عن غزوة الخندق على أهل السنة ، وكل ذلك بسبب تخلفهم عن الانتخابات ؟ ومن الذي قال عن أهل السنة : إنهم يستلمون أموالًا من أعداء الإسلام ، لأنهم هم والعلمانيون والصوفيون يصبون في مصبٍّ واحد ؟ من الذي قال عن أهل السنة : إنهم مرجئة مع الحكام ، خوارج مع الدعاة ، رافضة مع الجماعات ، قدرية جبرية مع اليهود والنصارى ؟ من الذي قال عن أهل السنة : إنهم علمنوا الدين ؟ من الذي قال عن أهل السنة : إنهم ليس عندهم تصور لقيام دولة إسلامية ؟ من الذي قال عن أهل السنة لا يعادون الكفار ، وإنما يعادون العلماء الفضلاء ؟ إلى غير ذلك مما يدور علنًا ، وما تُخْفِي صدورهم أكبر ، فقل لي بربك : كيف نستطيع أن نوقف ثورة الشباب الصادرة عن غيرة على علمائهم ، إن علماء السنة يدافع عنهم في كل أرض إلا في اليمن ، يشعرون

الشباب بهذه الكلمات، ثم يقولون لنا: أنتم المسئولون عن هؤلاء الشباب، وما حالنا وحالكم إلا كما قيل:

ألقاه في اليم مكتوفًا وقال له إيـاك إيـاك أن تـبـتـل بـالماء

فإذا كنا نلاقي هذا من كبارهم فلا غرابة أن يجدوا هذا وأضعافه من صغارنا، وأما إن سمعوا من مثل الشيخ مقبل كلامًا شديدًا كقوله: لصوص، فله براهينه على ذلك، وقصة فلان وفلان لا تزال غضة في أذهاننا، فأقصيتم أحدهم وأبقيتم الآخر، وكلاهما في العمل سواء، ولا تزال سيارة الدعوة عند أحدهما إلى الآن لم يستطع أحد أخذها، وآخر يقول: جئت بأربعة يتامى فكفلوا في كل شهر ألف ريال يمني، ولم يعطوا في خلال عامين سوى ثمانية آلاف ريال لجميعهم، ثم طلب منه أن يدع منهم اثنين ويبقي اثنين، وغير ذلك من الأخبار التي تذاع وتنشر.

مهما يكن من شيء؛ فإننا لسنا راضين عن صنيع أولئك الشباب، ونرى أن أوقاتهم أغلى وأعلى من أن تصرف في مهاجمة الحزبيين، ونرى أن انشغالهم بحفظ القرآن والحديث النبوي أضر على الحزبيين من الجدال والنقاش، يا له من منظر حسن أن تجد طالب العلم بعد العصر عاكفًا على مصحفه في حفظ أو مراجعة، وتجد الآخرين يأكلون القات أكلًا ذريعًا يضيعون فيه الوقت الطويل والمال الجزيل، وكفى هذا المشهد حطًا للحزبيين ورفعة لطلبة العلم، وإنني أنصح طلبة العلم أن يتقوا اللَّه عز وجل في أوقاتهم، وأن يجعلوا فراغهم مملوءًا بالقرآن والسنة.

واعلموا أيها الشباب أننا ننكر ونكره الحزبية سواء كانت ظاهرة أم باطنة، ولكننا لسنا راضين عن صنيعكم هذا، فقد أصبح حالكم هو الأداة التي ينفر بها أعداء السنة عن أهل السنة وعن طلب العلم، إن الرسول صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول لمعاذ وأبي موسى: «**بشِّرا ولا تنفرا، ويسّرا ولا تعسرا**».

إن عكوف كثير من الشباب على مجموعة من الكتب ككتب الشيخ ربيع في مناقشة بعض الجماعات و«الطريق إلى الجماعة الأم» و«وقفات»، وغيره أسموها كتب المنهج، إن عكوفهم عليها زاهدين عن كثير من العلوم يعتبر ضررًا على

الدعوة وميلًا بها عن سيرها الصحيح، على أنني أحب تلك الكتب، وأرى أن اللَّه فضح بها كثيرًا مما كان مخفيًّا لدى بعض الجماعات، ولكن أقول: يا شيخ ربيع إن طلبة العلم استغلوا كتبك استغلالًا غير لائق، فقدم لهم نصيحة تعقلهم وترشدهم بها، فلقد كادوا أن يكونوا جماعة مستقلة تغاير ما عليه دعوة أهل السنة في اليمن بأنهم ليس عندهم وضوح في المنهج.

إن علم الحديث يعتبر من المنهج، وكذلك الأصول، والعقيدة الصحيحة، والفقه، والنحو، والتفسير، وجميع علوم القرآن، وغير ذلك، فَلِمَ يحصر المنهج على كتب معينة، وباب من أبواب العلم معين، إن اللَّه جعل الإسلام كله منهجًا واحدًا، حيث قال مخاطبًا الأنبياء: ﴿**لكلٍّ جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا**﴾ [المائدة: ٤٨]، فجعل لكل نبي منهجًا، فجميع ما أعطيه نبينا صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يعتبر منهجًا واحدًا.

على أنني أحب أولئك الشباب كثيرًا، لأنهم قد خطوا خطوة كبيرة إلى جهة الاستقامة، وإني لأرجو أن يوفق اللَّه المخلص منهم بسبب ما يجعل اللَّه في قلبه من حب السنة وأهلها والغيرة عليها وعلى أهلها، ولا أرضى أن يسمى أولئك الشباب بالمنهجيين، فهم إخواننا، ولكن أرى أن يبين لهم من قِبل المشايخ الكبار، وسوف ينتهي ذلك كله، وينبغي أن يعلم أن خطأ أولئك الشباب في بعض أساليبهم، وأما الحزبيون فخطؤهم في منهجهم، ولا نستطيع أن نتهم واحدًا منهم بالتجسس، فنحن نحسن الظن بأي شخص حتى يظهر لنا منه أنه جاسوس، وهذه التهمة أصبحت أسلوبًا من أساليب التنفير لدى الحزبيين عن طلبة العلم الذين يقفون سدًّا منيعًا أمام انتشار دعواتهم المنهارة، وسوف يحاسب اللَّه المتَّهَم والمتَّهِم يوم القيامة، واللَّه المستعان.

ومن رأينا منه أنه يتكلم في الحزبيين لكونه مختصمًا معهم خصومة شخصية لا نفرح به، وسوف نتخلى عنه، لأنه لو وجد أناسًا أقوى منا ينتقم من خلالهم سيذهب إليهم ويتركنا.

س٢ : إنكم توصمون بالتشدد بسبب ترك الانتخابات النيابية والطلابية وغيرها ، فما قولكم؟

ج : وباللَّه التوفيق اعلم أن الانتخابات مبدأ مستورد وصل إليه أعداء الإسلام بدراسة متقنة ، حيث وجدوا أن اللَّه عز وجل يقول : ﴿**وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل اللَّه**﴾ [الأنعام : ١١٦] ، فعلم أعداء اللَّه أن الأكثرية في صالحهم فجاءوا بالانتخابات .

ثم اعلم أنه مخالف لسنة اللَّه الكونية ، فإن اللَّه عز وجل يقول : ﴿**إن اللَّه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**﴾ [الرعد : ١١] .

وفي الحديث : « **إذا تبايعتم بالعينة ، وأخذتم أذناب البقر ، ورضيتم بالزرع ، وتركتم الجهاد ؛ سلط اللَّه عليكم ذلًّا لا يفارقكم حتى تراجعوا دينكم** » رواه أبو داود .

ففي هذا الحديث وتلك الآية : دليل واضح أن الانتخابات ليست حلًّا لتغيير الوضع الأليم الذي يعيشه المسلمون اليوم ، فهب أننا فزنا في الانتخابات ، والزاني على زناه ، والرابي على رباه ، والشارب على شربه ، بل والمشرك على شركه ، هل سيتغير ما بنا والذي في نفوسنا لا يزال على حالته الأولى لم يتغير؟ الجواب : لا ، بل قد يحصل العكس ، لأنك قمت مستعينًا بأهل باطل على أهل باطل ، والنصر حليف المستقيمين على دين اللَّه فحسب .

قال تعالى : ﴿**وعد اللَّه الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنًا يعبدونني لا يشركون بي شيئًا**﴾ [النور : ٥٥] .

فلم يجعل الحل هو الانتخابات ، وإنما جعل الحل في الإيمان والعمل الصالح .

* * *



ذكر الأخطار والأخطاء على الدين في الانتخابات

١- أنه مبدأ مستورد من قبل أعداء اللَّه، ولن يأتونا بخير، ولو كانت الانتخابات من ديننا لكانت أمريكا وإسرائيل وغيرهما من دول الكفر أسبق وأسرع إلى الخير من المسلمين؛ لأن الانتخابات جاءت إلينا من قبلهم.

٢- أن المسلم والكافر في الانتخابات على حد سواء، والعالم والجاهل والمطيع والعاصي على حد سواء، واللَّه عز وجل يقول: ﴿**أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار**﴾ [ص: ٢٨] ويقول: ﴿**أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون**﴾ [الجاثية: ٢١].

ويقول: ﴿**أفنجعل المسلمين كالمجرمين**﴾ [القلم: ٣٥].

٣- أن الرجل والمرأة على حد سواء في نظام الانتخابات، واللَّه عز وجل يقول: ﴿**وليس الذكر كالأنثى**﴾ [آل عمران: ٣٦]، ويقول: ﴿**وللرجال عليهن درجة**﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وإذا جمعت الثاني والثالث وجدت أنه لا فرق بين أبي بكر وحمالة الحطب عند الديمقراطيين، فماذا لو جاء عالم من العلماء مصوتًا على أمر ما، وصوتت امرأة بَغِيٌّ بضد ما صوَّت عليه العالِم، أليس صوتها يسقط صوته؟ إذًا فبشرع مَنْ هذا؟ أو نرضى الدنية في ديننا؟ ﴿**ومن يهن اللَّه فما له من مكرم**﴾ [الحج: ١٨].

بل أعجب من ذلك ما إذا نصب صندوق لاختيار شخصين أحدهما مسلم والآخر غير مسلم فقام المسلمون والصالحون وانتخبوا صاحبهم ومقدارهم مثلًا ألف وخمسمائة، وقام الفاسدون وانتخبوا صاحبهم وهم بنفس العدد ففي هذه الحال تعادلت الأصوات فليس فيهما أحد فائز فأين الفارق الديني بين الطائفتين؟

فإن أتت امرأة كافرة فوضعت صوتها في صالح ذلك المرشح الضال أطاحت هي وحدها بذلك الجم الغفير: أصحاب الصلاح والتقى، فمن الذي هزم تلك اللحى وفشّلها؟ امرأة فاجرة، نعوذ باللّه من الخذلان.

٤- إنك إذا أردت أن تترشح فيلزمك أن تسكت عن أهل البدع عامة من صوفية وشيعة وغيرهم مجاملة ومداراة لهم كي ينتخبوك، وتداري أيضًا أصحاب المعاصي فتهون من شأنها أمامهم كي يروك صاحب اعتدال في نظرهم ولست متشددًا، فقل لي: إذا سكتَّ عن المعاصي والبدع، فأي مفسدة أقررت؟ وأي شر ستصرفه عنا بعد سكوتك عن هذا الشر العظيم؟ لا سيما والصوفية والشيعة يوجد لدى بعضهم الإشراك باللّه من دعاء للموتى وغيره، فإن قال المرشح: بل سأنكر على المبتدعة بدعهم، وعلى العاصين عصيانهم، قلنا له: فمن ينتخبك إذًا؟

٥- على المرشح أن يؤيد أن الحكم للقاعة سواء طابت نفسه أم لم تطب، ليس الحكم للّه بل للقاعة، وأن يعلم أن كلام اللّه وكلام رسوله صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم يعتبر في قاعة البرلمان رأيًا من جملة الأراء محتمل للرفض والقبول، فأي دنية بعد هذه؟

وليس هذا آخر ما يمكن قوله في الانتخابات.

ولعله اتضح الآن أن اعتزال الانتخابات ليس تشددًا، بل هو عين الحق واللّه أعلم.

* * *

س٣- فإن قال قائل: الانتخابات مفسدة ونحن ندخلها للحصول على مصلحة أكبر منها؟

فالجواب عليه: إن ارتكاب المفسدة للوصول إلى مصلحة لها شروط لم يتحقق في الانتخابات واحد منها:

١- أن تكون المفسدة أصغر من المصلحة ، فإن كانت المفسدة أكبر لا يجوز ارتكابها .

٢- أن تكون المصلحة المنشودة محققة لا وهمية ، لا أن تكون المفسدة نقدًا والمصلحة نسبية .

٣- أن لا يوجد طريق إلى المصلحة إلا من قبل تلك المفسدة ، فإن وجد طريق آخر فلا .

وإذا أردت أن تقارن بين الشروط والانتخابات وجدت العجب ، إن الداخل إلى البرلمان قصده أحد أمرين : إما إثبات قانون إسلامي ، أو إلغاء قانون كفري ، ولا تصوت الحكومات في صالح الإسلام إلا إذا كان إثبات القانون الإسلامي يصلح بعض أمور دنياهم ، أو كان نفي القانون الكفري يصلح أيضًا بعض أمور دنياهم ، ولا يفعلون ذلك بقصد إرضاء اللّٰه عز وجل ، ولنناقش الشروط كالآتي :

أما الأول فإن المفسدة من الانتخابات أكبر مما يرجى من المصالح ، وقد تقدم أن نظرتهم إلى الإسلام مصلحية ، يقبلون منه ما يدعم مصالحهم فقط ، ولا ينبغي أن يجعل الإسلام خادمًا للمصالح ، ومتى خالفها لا يقبل .

واعلم أن جعل الإسلام مطروحًا ليصوت عليه يعتبر مفسدة كبرى ، وإن كنا ضامنين النتيجة أنها في صالح الإسلام ، فلا يجوز أن يصوت على الخمر أيحل أم يحرم ؟ وعلى الربا أيحل أم يحرم ؟ فقارن بين هذه المفسدة وتلك المصلحة التي لا تكاد ترى بالعين المجردة .

كذلك ما تقدم من لزوم السكوت عن البدع والمنكرات ، والتهوين من المعاصي من أجل أن ينتخب مفسدة كبرى أكبر من تلك المصلحة التي لا ترى ، كذلك كون الحكم في القاعة لغير اللّٰه ، وإنما للقاعة ، وكبيرهم يحكم بما صوت عليه الأغلبية ، وهذا فيه رفع لمستوى الحكم بغير حكم اللّٰه .

كذلك كون المنتخب من حين يفوز يسمى مشرّعًا ، وهذا الاسم يقتضي أنه لا

يوجد شرع من قبل، وهؤلاء مشرعون يسنون للناس قوانينهم، وهذه عباراتهم، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿**أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله**﴾ [الشورى: ٢١].

فكيف صَحَّ لهم أن يسموا أنفسهم مشرِّعين؟

كذلك أنه توطيد لنظام أمريكا، فهي المتزعمة لحماية الديمقراطية في العالم، وهذا نظامهم ونحن بهذا مَكَنَّا له في الأرض.

كذلك ليُّ أعناق النصوص كي يوجدوا أدلة للانتخابات، كقولهم: إن الانتخابات هي الشورى، وهذا غير صحيح، فإن الشورى تخالف الديمقراطية في أمور:

أ- الشورى فيما لا نص فيه، والانتخابات حتى في المعلومات من الدين بالضرورة.

ب - الشورى في أهل الحل والعقد خاصة، والانتخابات في جميع الأصناف من مسلمين وغير مسلمين ورجال ونساء.

ج- الشورى القول فيها لأقربهم من الحق وإن كان واحدًا، والديمقراطية القول فيها للأكثرية.

وكذلك قصة عبد الرحمن بن عوف أنه انتخب عثمان بن عفان حين سأل عنه حتى ربات الخدور على أن القصة عليهم لا لهم، وذلك أنه تم سؤال أهل المدينة فقط دون غيرهم، وهناك مسلمون في البحرين واليمن والطائف وغيرها من البلدان، فقد حكم الأقلية الأكثرية، وهذا في عرف الديمقراطيين دكتاتورية، هذا إن ثبتت القصة، ثم قارن الآن بين تلك المفاسد مجتمعة وبين تلك المصلحة التي لا تكاد توجد.

وأما الشرط الثاني وهو أن تكون المصلحة محققة لا وهمية فقد سألناهم: هل أنتم متأكدون أنكم ستفوزون بدولة إسلامية؟ قالوا: نحاول ونسعى. وقد رأينا

غيرهم في بلدان أخرى حاولوا ذلك فلم يفلحوا ، واللعبة واحدة ؛ بل قد شهد شاهد من أهله فيقول عبد اللّٰه ناصح علوان في كتابه « الشباب المسلم في مواجهة التحديات » في الكلام على الاعتماد على النظام الديمقراطي (ص٢٤٢) طبعة دار السلام : إنه من المتعذر ، بل من الصعوبة بمكان أن يصل الإسلاميون إلى الحكم عن طريق الانتخابات البرلمانية الشعبية في ظل حكم علماني لا ديني ، وذلك للأسباب التالية :

أ - لأن قبول الترشيح للانتخابات بيد الحكومات العلمانية ، فهي التي تقبل من المرشحين من تشاء وترفض من تشاء .

ب - لأن التزوير في الانتخابات بيدها أيضًا فهي التي توصل إلى البرلمان من تشاء وتسقط من تشاء .

ج - لأن حل البرلمان بيدها كذلك ، فحين ترى أعضاء البرلمان ساروا على خلاف هواها ، فبجرة قلم تجمد البرلمان ، أو تحله أو ترفع الحصانة عن بعض أعضائه .

وكم سمعنا عن أحزاب سياسية ذات صبغة إسلامية شاركت في الحكم فترة من الوقت ، وأصبح لها في مجالس تمثيل الشعب أعضاء وأنصار ، فحين رأى العلمانيون في الجيش تحركهم ونشاطهم وامتدادهم ، استولوا على الحكم وألقت بالإسلاميين في غياهب السجون وقدمتهم للمحاكمات ، واتهمتهم بأنواع الاتهامات ، ولم يمكنوا لأحد منهم أن يرتفع له رأس أو يقوم بأي نشاط . اهـ .

وأما الشرط الثالث : وهو تعذر تلك المصلحة إلا من طريق تلك المفسدة ، هذا الشرط أيضًا ليس متحققًا ؛ بل الانتخابات أبعد الطرق إلى الحكم الإسلامي وبسبب الحزبية أصبح كثير من عصاة المسلمين وعوام المسلمين الذين لا ينتمون إلى أحزاب ادعت لنفسها أنها تمثل الإسلام ، أصبحوا يكرهون الإسلام من كرههم لتلك الأحزاب ، ويرغبون أشد الرغبة في دعاة غير متحزبين ؛ إذ قد شوهت تلك الحزبيات وجه الإسلام يبين ذلك ما يأتي .

* * *

س٤- فإن قال قائل: فما هو البديل؟

ج: قلنا له: هذا السؤال لا يكون إلا بعد تيقنكم فشل ما أنتم عليه، ولا يبحث الإنسان عن بديل والمبدل منه لا يزال صحيحًا، فبحثهم عن البديل يدل على اهتزازهم وعدم ثقتهم بما هم عليه، ومع ذلك نقول ما قاله الإمام مالك: لا يصلح هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

إننا لا نستطيع أن ننصر ديننا ونحن جاهلون، وكيف نقنع المخالفين بصحة ما نحن عليه؟ بل كيف نقنع محبينا بأننا على حق ونحن جاهلون؟ سوف يفر عنا كل من بدأ يفهم ويعي، وسوف يشعر بجهلنا ويبحث عن غيرنا، إذًا لا بد من (العلم).

ثم إذا لم نعمل بعلمنا صار وبالًا علينا وحجة علينا عند الله إذا لم ننتفع بعلمنا، فكيف سندعو غيرنا كي يرجعوا إلى الله ونحن غارقون في معاصينا وآثامنا؟ كيف يتم ذلك وليس فينا قدوة حسنة؟ إذًا لا بد من (العمل) بذلك العلم، ومن جملة العمل بذلك العلم تعليم الناس أمر دينهم، فالعلماء مسئولون عن الأمة كي يحذروهم ويبعدوهم عن كل ما يغضب الله، هذه مسئولية العلماء، والأدلة على وجوب تبليغ العلم كثيرة جدًّا ليس هذا هو موضع بسطها، إذًا فلا بد من (الدعوة إلى الله).

هذه الثلاثة الأشياء هي البديل، ودعوة أهل السنة سائرة على هذا، ولا ينبغي أن تصدقوا أنفسكم حين تقولون: إن أهل السنة متقوقعون في المساجد، الحقيقة خلاف هذا، فقد ضيقوا عليكم في جميع الميادين في المدارس والكليات والجامعات والمستشفيات والسيارات والدكاكين والورشات وغيرها، ولو كان أهل السنة كما ذكرتم محصورين في المساجد لما باليتم بهم ولما كان كل هذا الصراخ من قبلكم.

* * *

س ٥- فإن قالوا : وإلى متى نظل في هذه الثلاث الخصال (علم / وعمل / ودعوة) ؟

ج : قلنا : هذا السؤال غير شرعي ، نحن نسعى في هذا حتى يغير اللّه ما بنفوس الناس قال تعالى : ﴿ **إن اللّه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ﴾ [الرعد : ١١] ، لكن وأنتم إلى متى تركضون وراء الانتخابات ؟ فإن قلتم : إن هذا السؤال لا يلزمكم كما أنه لا يلزمنا ، قلنا لكم : هذا اعتراف منكم أنكم تسيرون في أمر وهمي . فَلِمَ هذا التنازل عن كثير من النصوص ؟

واعلموا أنكم غير مفوضين في شرع اللّه ، أنتم عباد للّه ملزمون بشرع اللّه فالتزموه ، واللّه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ، قال تعالى : ﴿ **أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار** ﴾ [الزمر : ١٩] .

وأما الانتخابات الطلابية وما شابهها من النقابات في الحقيقة كغيرها في استواء المسلم والكافر من شيوعيين وبعثيين وغيرهم ، وكذلك استواء الرجل بالمرأة ، وفيه تقليد لأعداء اللّه الكافرين ، ومهما ادعى أحد غير هذا زاعمًا وجود المصالح فهو كما قيل : أسمع جعجعة ولا أرى طحنًا ، وكفاهم أن يكونوا قابلين للنصر والهزيمة .

* * *

س ٦- هناك من اتهمكم بالتشدد بسبب تحريمكم الجمعيات الخيرية ، فهل أنتم تحرمون ذلك علمًا أنهم قد وضعوا أهدافًا نبيلة ؟

ج - إننا لا نحرم الجمعيات الخيرية ، ومن الذي يحرم إيصال الخير إلى الفقراء والمساكين والأرامل واليتامى ، بل والدعاة ، ولكننا ننكر أشياء أخرى مثل :

١- وضع الأموال في البنوك الربوية ، ومعلوم حرمة التعامل بذلك ، وإن كانوا مثلًا - حسب قولهم - لا يأخذون أرباحًا ربوية ، لكن هم مشاركون في الإثم

من ناحية أخرى، حيث إنهم وفروا المال لأهل الربا، وأما قولهم بأنهم استفتوا الشيخ محمد بن صالح العثيمين، فينبغي أن يعلم أنه ليس العمدة في ممارسة التعامل مع البنوك فتوى الشيخ، بل محض إرادتهم بذلك أنهم تعاملوا مع البنوك قبل أن يستفتوا الشيخ، وهب أن الشيخ تراجع الآن هل سيتركون التعامل مع البنوك أم يقولون: أخطأ الشيخ كما قالوا ذلك في غيره من المشائخ؟

٢- تعطلت الدعوة إلى اللّٰه - في غالب الأحيان لديهم - من المادة العلمية والنصيحة للأمة وحثها على ما يقربها إلى اللّٰه، وأصبحت الدعوة في الحث على الصدقة والإنفاق في وجوه الخير والترغيب في ذلك، وكذلك بيان ما أنجزته الجمعيات، وأين وصل امتدادها وأثرها في المجتمع، والرد على من تكلم على الجمعيات الخيرية، وبيان أننا لا نتبع عالمًا واحدًا.... وهذا غالب دعوتهم وهذه مفسدة قد تغطي تلك المصلحة التي أنشئت من أجلها الجمعية.

٣- إهانة الدعوة في كثير من الميادين، فلربما رأيت إعلانات موسعة عن محاضرة وبعد المحاضرة ترى غترًا مفروشة عند أبواب المساجد أو كراتين وعليها أناس يحثون الناس على أن يضعوا في تلك الكراتين أو الغتر نقودًا، مما يؤدي إلى ازدراء الناس للدعاة إلى اللّٰه ووضع الدعوة في قفص التهمة.

كذلك تكليف بعض المنتمين إلى جمعية ما أن يدوروا على الناس في صفوفهم قبل صلاة العيد يطلبون منهم مالًا للجمعية، كذلك تجد في مصلى العيد صندوقًا لجمعية معينة، وبالقرب من صندوق آخر لجمعية أخرى، فيظل كل واحد منهم يرمق الآخر ماذا وضع في صندوقه، ﴿**وأحضرت الأنفس الشح**﴾ [النساء: ١٢٨]، بل قد أصبح كثير من التجار لو زرته في اللّٰه راغبًا في نصحه ولم يخطر ببالك المال، يظل التاجر ينظر إليك شزرًا غير مصدق أنك جاد في نصحه، ويظل ينتظر متى تطلب منه مالًا؛ لأنه يظن أنك ما جئت إلا لذلك، وأن كلامك كله إنما هو مقدمة وترغيب فقط، حتى أصبح الناصح الصادق يكره زيارة التجار للنصح

لذلك السبب ؛ بل إن رجلًا ذا مال كان ملتحقًا بإحدى الجمعيات ، وكان يجود عليهم بالمال ، فتركهم حين تبين له ما هم عليه ، وهو أخ عنده صراحة في النصح جزاه اللَّه خيرًا ، فجاءه رئيس تلك الجمعية التي كان ينتمي إليها فقال له : يا أخ فلان ارجع إلى ما كنت عليه من التعاون معنا ، فأبى ، فقال له : ولو أن تعطينا نصف الذي كنت تعطينا . اهـ .

ولا داعي لسياق بقية القصة إنما الشاهد كيف أُذِلت الدعوة للمال ، وهذه مفسدة عظيمة .

٤- تصوير اليتامى والدعاة المكفولين ، ومعلوم حكم التصوير لذوات الأرواح ، وعندهم تصوير بالفيديو يصورون فيه احتفالاتهم وغيرها ، بل قد أخبرني عبد اللَّه ابن غالب وهو يعتبر كبيرًا في جمعية الحكمة أخبرني وهو في بيتي أن منهج جمعية الحكمة يبيح التصوير ، وكثير منهم يراوغ في التصوير كثيرًا .

٥- الجمعيات ليست مرادة لذاتها ، فما من جمعية إلا وهي داعمة لتنظيم علني أو سري ، ولو صدقت الجمعيات في اليمن لما بقي في اليمن فقير ولا مسكين ، فلا أدري أهي مائة جمعية أم مائتان أم أكثر .

ومن الدلالة على أن الجمعيات ليست مرادة لذاتها أنه يوجد لدى الجمعية مثلًا بيعة تربط أفرادها بها ، وتنظيم وأمراء وولاء وبراء على غرار ما عند الحزبيين ، فلا جرم أنها حزبية .

٦- أنهم أصبحت الجمعية عندهم أغلى من العلماء ، فهان عندهم مفارقة الشيخ مقبل وغيره كالشيخ محمد الإمام وأبي الحسن مصطفى بن إسماعيل ومحمد بن عبد الوهاب الوصابي وغيرهم هذا في اليمن ، وفي غير اليمن أكثر منهم ، هان عليهم مفارقة هؤلاء ، ولم يهن أمامهم ترك الجمعيات والبيعات وما ارتبط بها ، وشقوا دعوة أهل السنة بعد أن كانوا كلمة واحدة على مائدة واحدة ولا قرت عيون الشامتين .

وبعد أن عرفت هذا أظن أن شبهة التشدد بسبب اعتزالنا للجمعيات الخيرية قد ذهبت والله مطلع على الضمائر وحسبنا الله ونعم الوكيل.

* * *

س ٧: وهل تحرمون على أحد أن يأخذ من أي جمعية مالًا؟

ج: لا نحرم ذلك إذا كان بغير قيد أو شرط، لأن الذين أعطوا هذا المال للجمعيات أرادوا إيصاله إلى مستحقيه، لكن إن استطعت أن تستعف فهو أفضل، ولو أن تذهب وتعمل وتكتسب خير من أن تأخذ منهم لأنهم إن رأوا منك أنك تخالفهم في أمر ما عيَّروك بأنهم ينفقون عليك، وأن الجمعية هي التي أشبعتك؛ بل قال بعضهم: أنتم تحرمون الدجاج، وتأكلون البيض، وقال أيضًا: الجمعيات حرام عند بعضهم لكن النقود نرميها لهم من النافذة، لهذا نرى أن التعفف أفضل. والله أعلم.

* * *



الفهرس

* * *



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com





السعر ٨ جنيه